
رجاء جارودي
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
الناشر
دار الغد العربي
٣ ش ـ دانش ـ العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٣٨٧٠ ـ القاهرة

دار الغد العربى

كتاب الغد ـ ١

رجاء جارودى

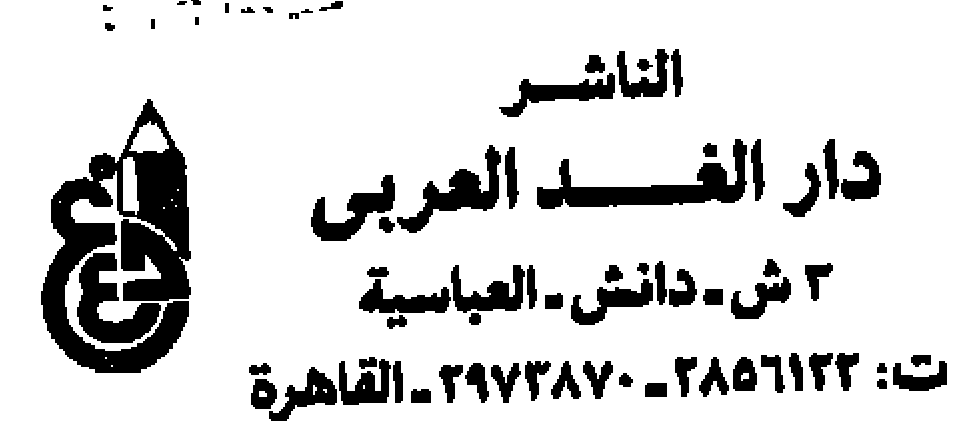
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ترجمه عن الفرنسية

قسم الترجمة ـ بدار الغد العربى

الطبعة الأولى

١٩٩٦



الناشـر

دار الغـــد العربى

٣ ش ـ دانش ـ العباسية

ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٣٨٧٠ ـ القاهرة



سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافية والسياسية
التي تهم القارئ العربي ..

المشرف العام على السلسلة

حمدان جعفر

الغلاف بريشة : مدحت عبد السميع

العنوان الأصلى للكتاب

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996



كلمة الناشــــر

لقد كان روجيه جارودى، المفكـر الفرنسى المعروف، والذى اعتنق الإســلام منـذ عشـر سنوات وتسمى بـاسم رجـاء جـارودى، من كبـار رجـالات الحزب الشيـوعى الفرنسى حيـث كان عضـوا بارزا فى لجنتـه المركـزية. ونـاضل منذ شبـابه فـى صفوف هذا الحـزب، وله فـى هذا المضمار كتاباتـه ومؤلفاته العديدة. ولكنـه ما إن اهتدى إلى الإسلام، وذاق حـلاوتـه عن علم ومعـرفـة، حتى انبـرى يكتب عن هـذا الـدين الحنيف ويدافع عنـه وعن تعاليمه فى ديار الغرب، ولـه فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش.

ومن عجائب المفـارقات، بل ومن محـاسن الصُّدف أن يقيض الله للعـرب وللفلسطينيين خاصـة من يـدافع عن حقـوقهم التاريخيـة ومن ينادى بـالعدالـة ورفع الظلم عنهم. فقـد كرّس رجـاء جارودى حيـاته ووقفها على جليل الأعمـال التى تدعو إلى رفعـة أمة الإسلام وإيقـاظها من سباتهـا وتذكيرها بعظمـة حضارتها وبما لهـا من أفضال على العلم والعلماء. ولقد جلب هذا عليه الكثيـر من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسـالى الشرق، غيـر أنه لم يحد عن طـريق الحق رغم مزاعم المتهـافتين والحاقدين الذين ادعـوا زورا وبهتانا أنه قـد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط. ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء.

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان: معنى العدوان الإسرائيلى»، والذى وقَّعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهى جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة. ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى. وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية.

ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكد على أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده، فى حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية فى فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة فى الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل فى الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه فى صف واحد مع صديقه جارودى، وأسقطت عنه جمعية «ليكرا» المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادى الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

●●●

ويحتوى الكتـاب على ثلاثـة أجزاء، فضلا عن مقـدمة وخـاتمة. فالجزء الأول يتناول «الأسـاطير اللاهوتية» ويعالج الجـزء الثانى موضوع «أساطيـر القرن العشـرين» أما الجـزء الثالث فقـد كرسه للحـديث عن «الاستخدام السيـاسى للأسطورة». وفـى تمهيده لهذا الكتـاب يتساءل جـارودى: لماذا هـذا الكتـاب؟ ويرد على ذلك بأنـه جـزء من ثلاثيـة خصصها لمحـاربة التطـرف لدى جميع الأديـان السماويـة. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطيـر التى قامت عليها السياسية الإسرائيلية، . وقد حـاولت شجب ما فيها من هرطقة سيـاسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا «رد الرب علـى الهولوكـوست». ثم قـال: «إن هذا الكتاب يحـافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مسـاهمة منا فى معركـة التوصل إلى سلام حقيقى يقـوم على احترام الحقيقة التـاريخية والقـانون الـدولى، وتفعيل التاريخ النقـدى للعالم المعاصر».

والواقع أن الذى أثـار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هـو كلامه عن معسكـر أوشفيتـز. وعن التشكيك فـى رقم ٦ مـلايين يهـودى من ضحايا الحـرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقـدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمـة معاداة السامية أو اليهـود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة.

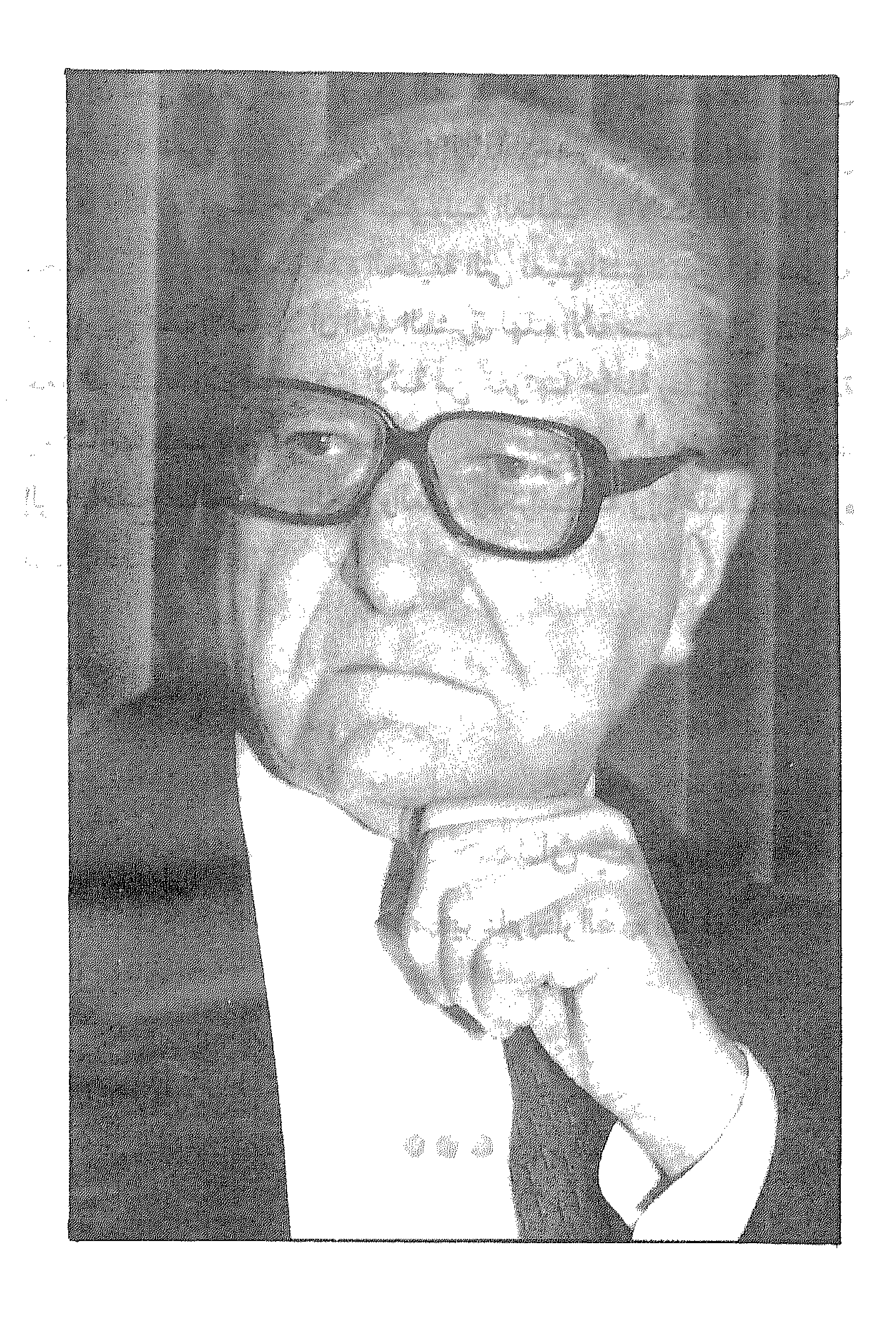
●●●

وإن لمن دواعى سرور [دار الغـــد العربى] أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية . . ولشباب هذه الأمـة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدًا . . مهما حاولت الصهيونيـة العالمية ، والاستعمار الأمريكى الجديد . . وإذا كـانت هذه الحقيقة التى نعيشها تشهد تـرديًا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمـة إلا أن الغد المشرق لهذه الأمة سـوف ينبلج صباحه عما قـريب ، وسوف تنهض الأمـة من غفوتهـا حاملة رسـالتها السـامية وحضارتها العـريقة لتعيد صياغـة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بـالحريـة والحق والعدل والكرامـــة وإن غدًا لناظـــره قريب . . .

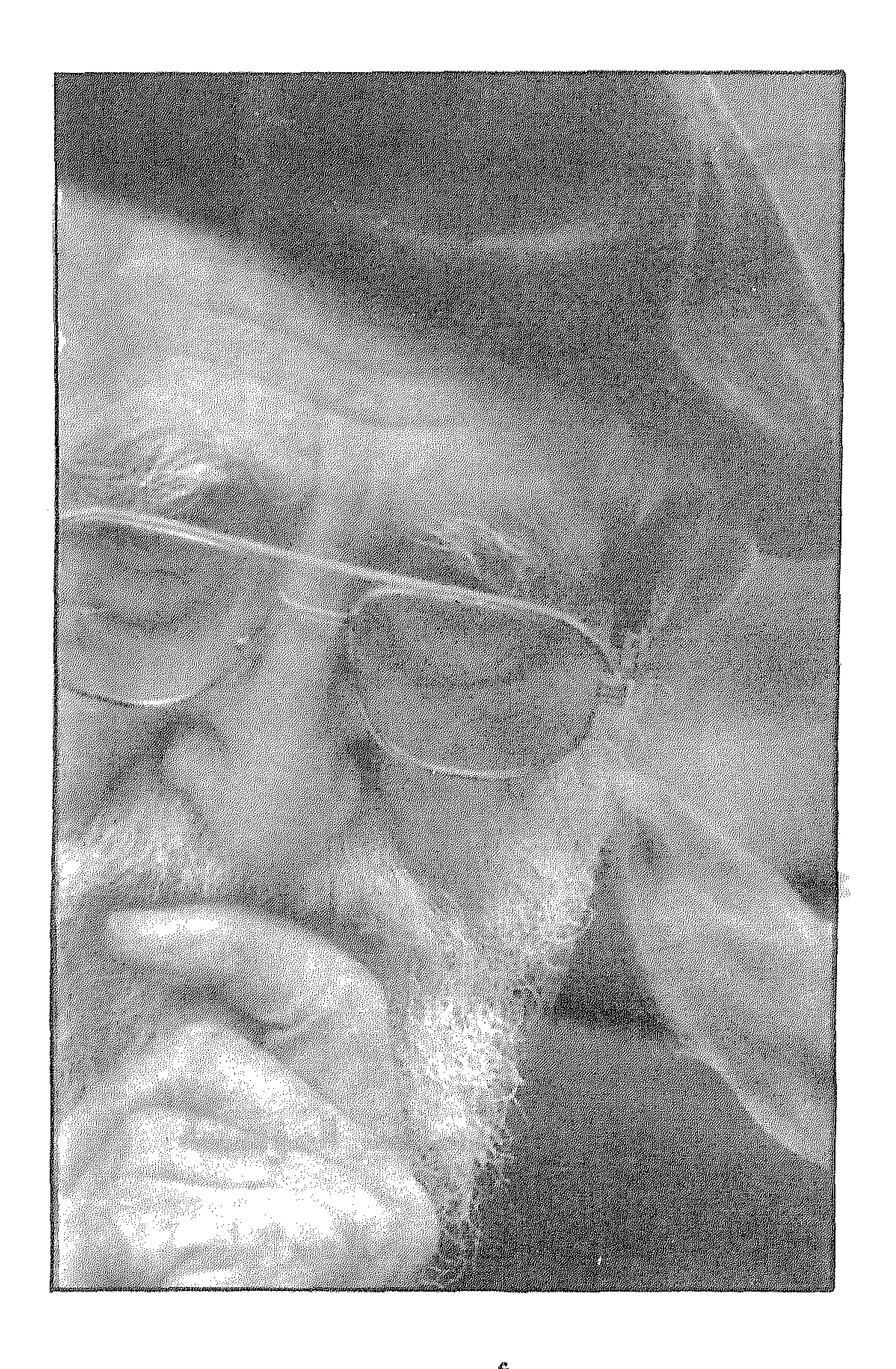
حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربى

●●●



روجيه جارودى



الأب بيير



الأساطير المؤسِّسة
للسياسة الإسرائيلية



« إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون «جيسو فايوش الغاشم» الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

●●●

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهرطقة . وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزَّل .

وهذا هو المرض القاتل فى نهاية هذا القرن الذي سبق لى أن عرَّفته فى كتابى عن التطرف الدينى .

ولقد حاربت هذه النزعة لدى المسلمين فى كتابي «**عظمة الإسلام وانحطاطه**» مجازفا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول «إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام» .

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى «**نحو حرب بين الأديان**» ، مجازفا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول «**إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى**» .

وأنا أحارب هذه النزعة الآن لدي اليهود فى كتابى «**الأساطير المؤسِّسة للسياسة الإسرائيلية**» مجازفا بأن أثير ضدى عواصف الصهاينة ـــ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكِّرهم الحاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيانا قوميا . . وتلك هى الهرطقة» .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨] .

فما هى الصهيونية التى أدينها وأفضحها علنا فى كتابى «وليست

الديانة اليهودية»؟ .

وهى غالبا ما عرَّفت نفسها بنفسها :

١ ـ إنها عقيـدة سياسية «منذ ١٨٩٦ ، ارتبطت الصهيونية بـالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل » .

[المصدر : مـوسوعـة الصهيونيـة وإسرائيل . دار هـرتزل، نيـويورك ١٩٧١ ، المجلد الثانى، الصفحة ١٢٦٢] .

٢ـ إنها عقيدة قومية لـم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولـم ينتسب مؤسس الصهيونية، هرتزل، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر : تيودور هرتزل: اليوميات ، طبعة فيكتور جولانسز ، ١٩٥٨] .

«فأنا لا غنوصى (أى أنه من اللاادرية)» [ص ٥٤٠] .

فهو لا تهمـه الأرض المقدسـة بوجـه خاص : فهو يقبـل أيضا ومن أجل أهدافـه القوميـة، بأوغندا أو طـرابلس أو قبرص أو الأرجنتين، أو موزمبيق ، أو الكونغو. [المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق] .

ولكن أمام معـارضة أصدقـائه من أصحاب الديـانة اليهوديـة، فإنه يعى أهمية الأسطـورة القوية، كمـا يقول [اليـوميات ، المجلـد الأول، ص ٥٦٠]التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر» .

[المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٤٥٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حوّل أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية : «إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى . . وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمّ الشمل القوية لشعبنا » .

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية . . إنها مسألة قومية » .

٣ ـ إنها عقيدة استعمارية . وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه : فكخطوة أولى ، تحقيق « شركة ذات امتيازات » ، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى ، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية .

ولذا فإنه توجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات : المتاجر الاستعمارى سيسيل رودس ، الذى استطاع انطلاقا من شركة ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا ، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه : روديسيا .

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلى :

« أرجوك أن ترسل إلىَّ نصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه . وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس . ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى » .

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية» [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداد للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطىء لرسالة إسرائيل..

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومي، ولكن روحى . . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض» .

[المصدر : المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوى السابع، ١٨٩٧ ، صفحة ١٢].

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من « رابطة حاخامات ألمانيا »، وحتى « الاتحاد الإسرائيلى العالمى لفرنسا »، «والاتحاد الإسرائيلى » في النمسا، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى، من عكس الاتجاه و إنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية، على عكس ما كان متوقعا. ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين.

ولم يتوقف مارتن بوبر، أحد الأصوات اليهودية الكبرى في هذا

القـرن، طوال حيـاته، وحتى وفـاتـه في إسرائيل، عن شجب انحـلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية.

فقد أعلن مارتن بـوبر في نيويورك: « إن الشعور الـذى اعترانى منذ ستين عامـا، عندما انضممت إلى الحركـة الصهيونية، هو في جـوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم.. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخـرين ـ وأن تبدأ بآمـال عريضة لكى لا تتـردى بعد ذلك حتى تصبح نزعـة أنانية مقـدسة، تجاسرت ـ كموسولينى ـ أن تعلن نفسها أنانية مقـدسة، كما لو كـانت الأنانية الجماعيـة تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية.

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟.

لقـد كـان التنـاقض بين الهـدف ووسائل بلـوغـه سببـا في انقسـام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيـازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخـرون، ولا سيمـا الشبـاب، أرادوا فقط السمـاح لهم بـالعمل فـي فلسطين مع جيـرانهم، مـن أجل فلسطين ومـن أجل المستقبل..

ولكن كل شيء لم يكن يسير على مـا يرام في علاقاتنـا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية.

وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلـر الـذى دفع بجمـوع اليهـود إلى الـذهـاب إلى فلسطين، لا بالنُّخَب التى جاءت لمواصلة حيـاتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضـوى الانتقائى هجرة جماعية ومـا استلزمه ذلك من إيجاد قوة سيـاسية لسلامها وأمنها. . وقد فضلت غـالبية اليهود أن يتعلموا من هتلـر بدلا من أن يتعلموا منـا. . ولقد برهن هتلـر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القـوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقـاب. . وهذه هى الحالة التى كـان علينا أن نحاربها. . . . وفي «إيهـود» اقترحنا ألا يكتفى اليهـود والعرب بـالتعايش ولكن أن يتعـاونوا. . وذلك بمقـدوره إحداث تنميـة اقتصاديـة في الشرق الأوسط، وبفضلـه يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية».

[المصدر: النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيونى الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى. . .

ولكن إذا مـا كـانت روح إسـرائيـل ليست شيئًـا آخـر سـوى تخليق هويتنـا القومية، وتبريـر جميل لأنانيتنا الجماعيـة. . التى تحولت إلى صنم معبـود، بـرفضنـا قبـول إلـه آخـر سـوى رب السمـوات، نكـون

كـالشعوب الأخـرى، ونشـرب معهم من الكأس التى تسكـرهـم فالأمـة ليست هى القيمة العليا . . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة : إنهـم أعضـاء في جماعة مؤمنة .

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها ، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهـذا الشكل الجديد للرغبـة في الأرض هى الخلفية التى آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب . .

وما هو دور فكرة « اختيار إسرائيل في كل ذلك؟ » فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين ، ولكن من رسالـة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها : إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله ، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة » .

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القـومية » للصهيونية السياسية التى تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية ، قائلا :

« كنا نأمل في أن ننقـذ القومية اليهوديـة من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود . ولكننا قد أخفقنا » .

[المصـدر: مـارتن بـوبـر، إسرائيل والعـالم . نيـويـورك ، ١٩٤٨ ، الصفحة ٢٦٣] .

وقد اعتبـر الأستاذ جـوداس ماجنيس ، رئيس الجـامعة العبـرية فى

القدس منذ ١٩٢٦ ، أن « برنامج بلتيمور » لعام ١٩٤٢ ، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدى إلى حرب ضد العرب » .

[المصدر: نورمان بتويش، من أجل صهيون. سيرة جوداس ماجنيس ، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤ ، الصفحة ٣٥٢].

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منذ ٢٠ سنة ، قال : إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية . وليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبير من الشتات القوى . وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية ، أن صهيون ينبغي افتداؤه بالاستقامة والنزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى الأيدى . إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال » .

[المصدر : المرجع السابق ، ص ١٣١].

والواقع أنه منذ إعلان بلتيمور، كان القادة الصهاينة في أمريكا قد حصلوا على أكبر حامٍ لهم : الولايات المتحدة . وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارضة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشاء ليس فحسب « وطن قومى يهودى فى

فلسطين »، طبقا لنصوص (بل ولروح) إعلان بلفور، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين .

وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجه :

« في رأيى فإنه من المعقول أكثر التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مشتركة ومسالمة ، بدلا من إنشاء دولة يهودية . وإن إحساسى الذاتى بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لها حدودها ، وجيشها ومشروعها للسلطة الدنيوية مهما كانت متواضعة . وأخشى من الخسائر الداخلية التى قد تتكبدها اليهودية بسبب قيام قومية ضيقة في صفوفنا . . وإننا لم نعد يهود عصر المكابى . ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسى للكلمة يساوى أننا سنحود عن روحانية طائفتنا التى ندين بها لأنبيائنا » .

[المصدر: الحاخام موشى مينوهن : انحلال اليهودية في زمننا ، ١٩٦٩ ، صفحة ٣٢٤] .

ولم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولى .

وسنكتفى هنا بذكر مثالين اثنين على ذلك ، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكرية للوبى الإسرائيلى ـ الصهيونى : ففى عام ١٩٦٠ ، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس ، أعلن المجلس الأمريكى لليهودية :

« وجه المجلس الأمريكى لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة .

ويعلن المجلس أن اليهودية هى مسألة دين وليست مسألة جنسية » .

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠] .

وفي ٨ يونيه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين ، من جامعة تل أبيب ، وأثناء غزو الإسرائيليين الدامى للبنان ، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه[1] :

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذى أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان : وهو ضمان السلام لأهالى الجليل . وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون . ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية ، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها ، لا علاقة لها بأى شىء ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع في لندن ، ولا بأمن الجليل . . ولا اليهود ، أبناء إبراهيم . . هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية ، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبر نجاح للصهيونية هو « عدول اليهود عن

---

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون .

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصـدقاء أن تقوموا بكل مـا فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر » .

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ـ٩] .

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية » .

[المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص ـ٦] .

وهذا هـو رهان المعركة بين الـديانة اليهـودية التوراتية وبين القـومية الصهيونية ، التى تقوم مثلهـا في ذلك مثل أى قومية ، على رفض الآخر وتقديس الذات .

فكل قـوميـــة في حـاجـة إلـى تقـديس ادعـاءاتهـا : فبعـد تفكك المسيحية ، ادعت كل دولـة ـ أمـة أنها قد تلقت الإرث المقـدس وأنها حازت على الولاية من الرب :

ففرنسـا هى « البنت البكر للكنيسـة » ، والتى بها تتم أفعـال الرب . وألمـانيـا هى « فوق الجميـع » لأن الله معها . وأعلنت إيفـا بيـرون « أن رسالـة الأرجنتين هى تقديـم الله إلى العـالـم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذو بعبارات مثل « لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة». . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات.

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة.

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع: جوهر النبوءة (دار كلمان ليفى، ١٩٨٢، ص ـــ ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكونى للتحالف: تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول: إن إسرائيل هى وبامتياز « علامة التاريخ الإلهى في العالم. فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب ». [ص ـ ٣١١].

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، « بالأسطورة الآرية » التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر.

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه: فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفهم القصرى مع الإله، لا يترك أى مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحـوار يقتضى، وهو مـا لا نملُّ من تـرديـده، أن يعى كل إنسان منـذ البداية ما ينقصـه من إيمان، وأنه في حاجة إلى الآخـر لسد هذا الفراغ لديـه، وهو شرط كل تفـوق على الذات، وكل رغبة في الكمـال (وهو روح كل إيمان حيٍّ).

فإن مختاراتنـا هذه عن الجـريمة الصهيونيـة يسير في امتـداد جهود هؤلاء اليهود الذين حـاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومنـاصرتها ضد الصهيونية القبلية .

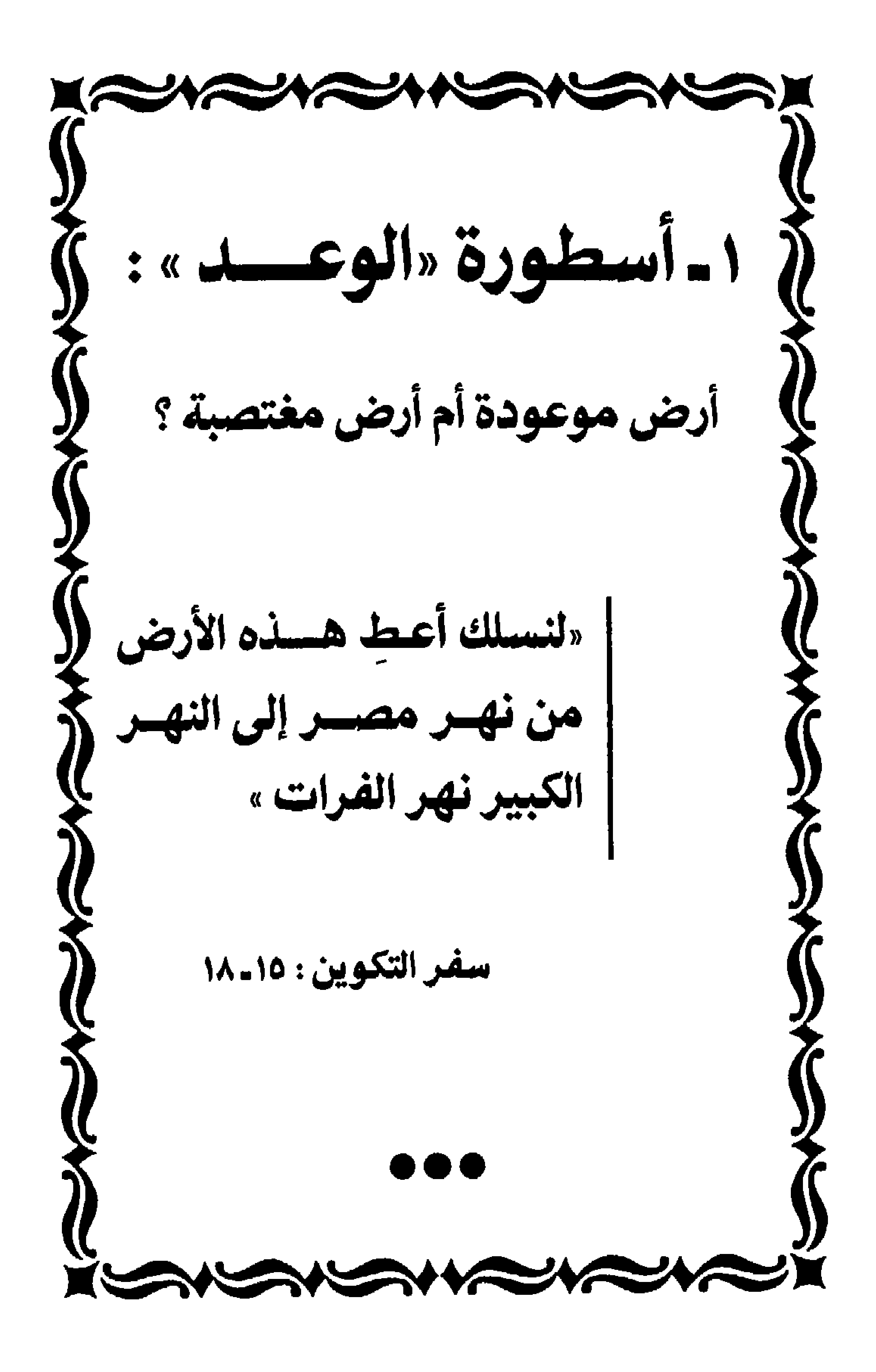
وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقـد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمـارسها الصهيـونيـة الإسرائيليـة بل التأييـد غيـر المشروط لهـذه السياسة التى أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمـة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم .

●●●



أولا

الأساطير اللاهوتيــــة



١ ـ أسطورة «الوعـــد» :

أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

«لنسلك أعطِ هــذه الأرض
من نهـر مصـر إلى النهـر
الكبير نهر الفرات»

سفر التكوين : ١٥ ـ ١٨

•••

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

«إذا كنا نملك التوراة ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية» .

الجنرال موشى ديان ، جيروزاليم بوست ، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

● فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى .

● وفى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة ، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض الموعودة «ليهودا وسامرا» (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب .

أ) فى التفسير المسيحى :

يوجز البيردى بورى ، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف ، رسالته للدكتوراه «الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب» ، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت ، على النحو التالى :

«إن الموضوع التوراتى لهبة البلاد يستمد أصوله من «الوعد الأول» أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثور فى سفر التكوين . فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكيـة الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التـوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شيء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينـا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصـور المحددة تحـديدا دقيقـا . فهم يـدخلون كل الـذكريـات والتواريخ والخرافات والحكـايات والأشعار التـى وصلتهم والتى نقلها لنـا التراث الشفهى ، ضمن إطـار محـدد للأنسـاب والتأريخ . ويتفق معظم المفسرين المحـدثين على أن هذه الصورة التاريخيـة ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير .

وقد برهنت أعمال البرخت آلـت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متواليـة (الآباء ـ السخرة فى مصر ـــ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى .

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعـاصرة وفقاً لمقولة البيردى بـورى ، كتبت السيـدة فـرنسـواز سميـت ، عميـدة كليـة الـلاهـوت البروتسانتية فى باريس تقول :

«إن البحـوث التـاريخيـة الأخيـرة تـوصلت إلـى تقليص العـروض الكـلاسيكيـة للخـروج من مصـر ، وغـزو كنعان ، والـوحـدة القـوميـة الإسرائيلية قبل المنفى ، وصورتها على أنها قصة خرافية ، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه» .

[المصدر: فرنسـواز سميت : البروتستانت والتوراة وإسـرائيل منذ عام ١٩٤٨ ـ

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤، رقم ٣١٣، ص ٢٣] .

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت ـ فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد فى كتابها : «الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤ .

ويستطرد البيردى بورى قائلا : إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية ـ بعد الأحداث ـ على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، أو على أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية فى عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ ـ الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة :

٢ ـ أما وعد الرُّحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

٣ ـ وفى الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذى تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة

الخروج)، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية: والرب المحلى، مالك الأرض، هو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار فى أراضيه .

٤ ـ وبعد ذلك، وعندما تجمعت القبائل الرُّحَّل التى استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل «شعب إسرائيل»، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فُهِمَ على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائى لفلسطين، وكإعلان و إضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

«بينما يرجع وعد «الرُّحَّل»، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد «القومية». ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة «بين نهر مصر (= وادى العريش) والنهر الكبير نهر الفرات» وعلى جميع الشعوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا.

ولقد عاش القصاص يهويا، الذى يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى: محرر الأحاديث) للعهد القديم، فى عصر سليمان. ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء، الذى أعيد تفسيره فى ضوء داود، بما يفوق كل الآمال.

ونص سفر التكوين ١٢ ـ ٣ ب، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا. ووفقا لهذا النص، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض». وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية.

وهكذا فإننا لسنا فى حِل من التأكيد على أنه فى فترة ما من فترات التاريخ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان. ومن الناحية القانونية، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقّعة من «الله»، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الوارد فى سفر التكوين ١٢ ـ ١/ ٨؛ ١٣ ـ ١٤/ ١٨، على سبيل المثال، لا يعكس حادثة تاريخية.

فهل من الممكن، والحال هذه، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه فى خدمة المطالبات السياسية، فهو قطعا ليس كذلك.

فليس هناك أى سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه.

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل» .

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى كريت ـ بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبلييه)] .

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات :

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة) .

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية ، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب .

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ ـ أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة .

فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة

قد قطعت من جانب الملك وشعبه .

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح ، «استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب ، وقادة بيت إسرائيل ، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمّامات من الدم والقدس بجرائمكم . . . . إن صهيون سَيُحرث كالحقل ، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال ، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام» .

المصدر: ميشا الثالث، ١ ـ ١٢ .

لن يكون صهيون مقدسا ، إلا إذا سادت شريعة الله . وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استنت للقدس هى شريعة مقدسة .

ب ـ وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها : فإن الشعب الذى أعيد توطينه فى صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب .

ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية ، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل .

. . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تُربتها ، ولا على شعبها ، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض .

والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهى الذى تعبِّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها أى حق فى ادعاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى...

فهذه هى محض غوغائية التربة والدم.

فلا الشعب بمقدس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية فى العالم.

إن النزعة الشمولية الصهيونية التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولو بالعنف والقوة، تجعل من هذا الشعب شعبا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢٠ مارس ١٩٦٨].

●●●

ولم يكن إيجال عامير، قاتل إسحاق رابين، بعربيد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية.

فهو ابن حاخام، وطالب ممتاز فى الجامعة الإكليركية بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الذى اغتال منذ عدة شهور فى الخليل، ٢٧ من العرب وهم

يصلون). وهـو لاشك قد شـاهد فى التليفـزيون الرسمـى الإسرائيلى، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مـؤسس الصهيونية السياسيـة، تيودور هرتزل بأن «يعـدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد» فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا).

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التـى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثـولوجية المتطـرفين الصهيونيين، وكمـا يقول عاميـر: «إن الأمر بـالقتل جاءه من الرب»، كمـا كان يحـدث فى عهد يشوع.

[المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥].

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى: فإن المستوطنين فى قريـة إربا وحبرون (الجليل) كـانوا يرقصـون فرحا يـوم اغتيال رابين وهم يـرددون مـزاميـر داود حـول الضـريح المقـام على شـرف بـاروخ جولـــدشتين.

[المصدر: جريدة ألبيس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥، ص ـ ٤].

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنـه «قد حارب طوال حياتـه من أجل السلام» (وهو الذى قـاد جيوش الاحتـلال فى بداية الانتفـاضة وأعطى الأوامـر بكسر عظام أيـدى أطفال الأراضى الفلسطينيـة الذين لم يكن يملكـون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم).

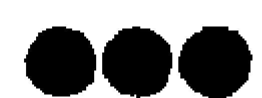
ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

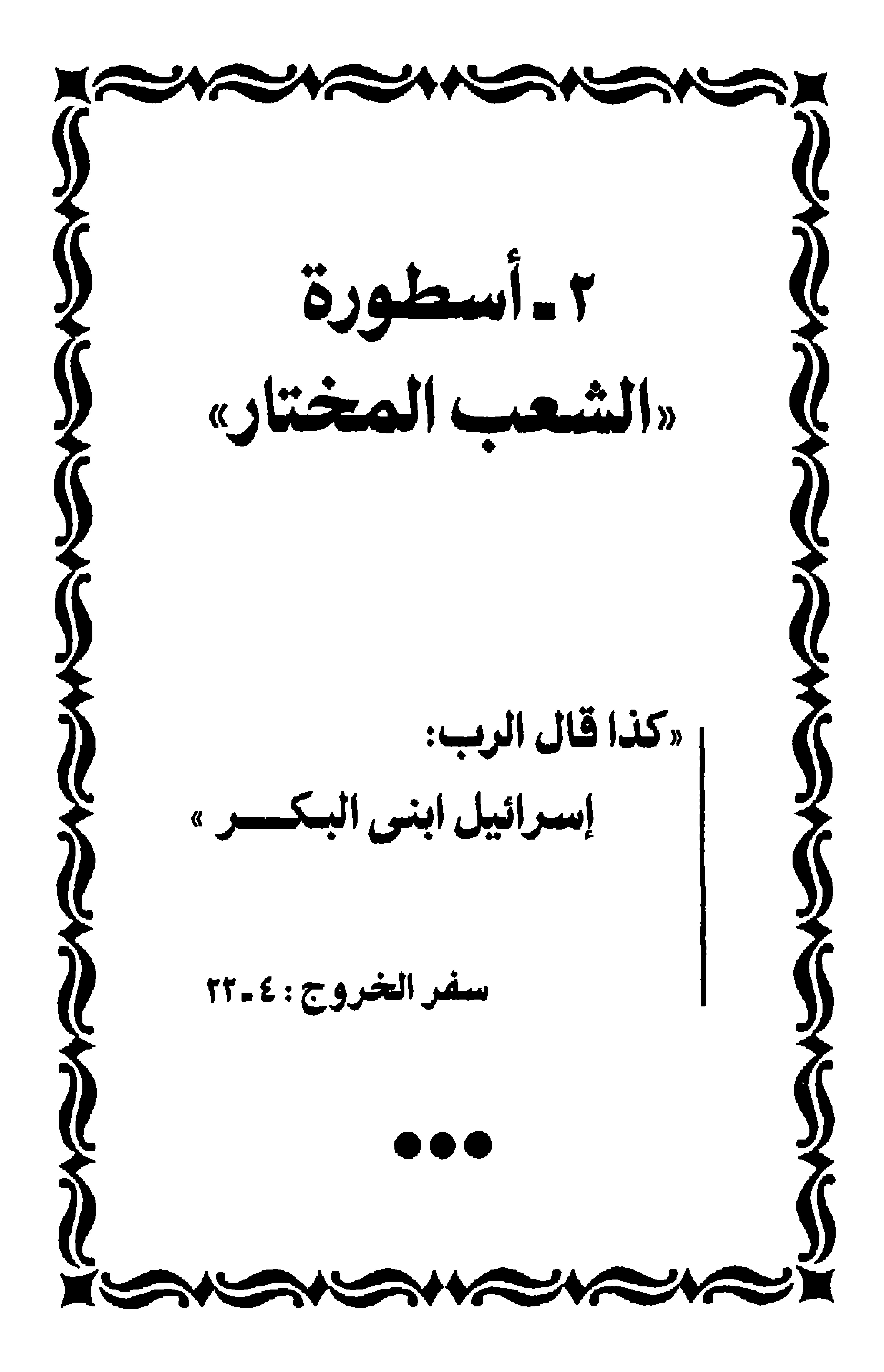
ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.





٢ ـ أسطورة «الشعب المختار»

«كذا قال الرب:

إسرائيل ابنى البكــــر »

سفر الخروج : ٤ ـ ٢٢

•••

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● «يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها. فإن إسرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أساسى من أركان العقيدة» .

[المصدر: الحاخام كوهين فى كتابه «التلمود»، باريس، ١٩٨٦، ص- ١٤٠].

هذه الأسطورة هى الإيمان دون أى أساس تاريخى، بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم. وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتها وهما: يهوى وإيلوهى، لم يكن أى منهما وحدانى: فقد كانا يناديان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة، وغيرته عليهم [سفر الخروج ٢٠، ٢ـ٥]. ورب مواب: قاموش، معترف به (سفر القضاة ١١، ٢٤ وسفر الملوك الثانى، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول، ٢٧، ١٩) .

وقد أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها: «منذ زمن بعيد، كان الاعتقاد سائدا فى إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم». (ص ٦٨٠، حاشية د) .

ولم يحدث إلا بعد المنفى، ولا سيما لدى الأنبياء إن ثبتت الوحدانية، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى» (الخروج، ٢٠، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفرض الطاعة ليهوى وليس للآلهة الآخرين وهو ما تكرر فى سفر تثنية

الاشتراع : «لا تتبع آلهة أُخر» (السادس ، ١٤) ، وتنادى : «أنا الرب ، لا إلـه غيرى» (اشعيـا ، ٤٥ ، ٢٢) . وهذا التأكيـد الذى لا يقبل الجـدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق . م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩) .

فالوحـدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طـويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط ، حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر .

واعتبارا من القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد ، أمر الفرعون أخنـاتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد . وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقـريبا فى المـزمـار ١٠٤ . وكانت الـديـانة البـابليـة فى طريقهـا إلى الـوحـدانية ؛ وفى حـديثـه عن الـرب مـردوك ، عدد المـؤرخ أولبـريت خطوات هذا التحول : «عندمـا تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليـات لإله واحـد . . لم يبق سـوى خطوة واحـدة لبلوغ نـوع من لوحدانية» .

[المصدر: أولبريت ، الأديان فى الشرق الأوسط ، ص ـ ١٥٩] .

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة» : «إذا كان البشر قد انقسمـوا حول الآلهة ، فبـالنسبة لنا ، وبكل الأسمـاء التى سميناهم بها ، فإنه هو ربنا» .

وقـد بلغ هذا الـدين تلك الـدرجة من السـريـرة حيث تظهر صـورة العادل المتألم :

«أود أن أمدح رب الحكمـة . . فإن الإله قـد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقـادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث» .

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩ـ٣٤١] .

أما صورة أيوب، فهـى سابقة عليها بعدة قرون. وثمـة صورة مماثلة للعادل المتألـم، وهى صورة دانيل (وهى غير ما جاء فى التوراة العبرية) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانيـة» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بـدانيل بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤ و ٢٠) .

وتلك مقــولات لا يتفــوق معنـاهــا الــروحى أبــدا على الفحص التاريخى .

وتلك على سبيل المثـال الحال مع المقـولـة الرائعـة بشأن مقاومـة الاضطهاد والتحـرر التى وردت فى سفر الخـروج . ولا يهم فى شىء إلا يعتبر «عبـور بحر البـوص بمثابة حـدث تاريخى»، كمـا يقـول مـرشيا إيلياد [١]، وهو لا يخص كافة العبـرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين .

---

(١) مرشيا إيلياد، «تاريخ العقائد والأفكار الدينية»، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله وإدماجه فى التاريخ المقدس ليهوى [٢] .

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس . ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية .

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب : فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق . وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية .

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة فى الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة .

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا .

وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

(٢) المرجع السابق، ص ـ ١٩١ .

المؤلفة على شرف باشاماما ، آلهة أو إله قبائل ألانكا .

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا ، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة ، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم» ، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟

وحينئذ فقط ، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح ، ستبلغ كونيتها الحقيقية : فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة ، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية . إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب ، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود .

إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية ، وتشكل داخلها العبرانيون .

وفى حضارات أخرى ، غير غربية ، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا .

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج ـ فيدا الثالثة ، ٧) .

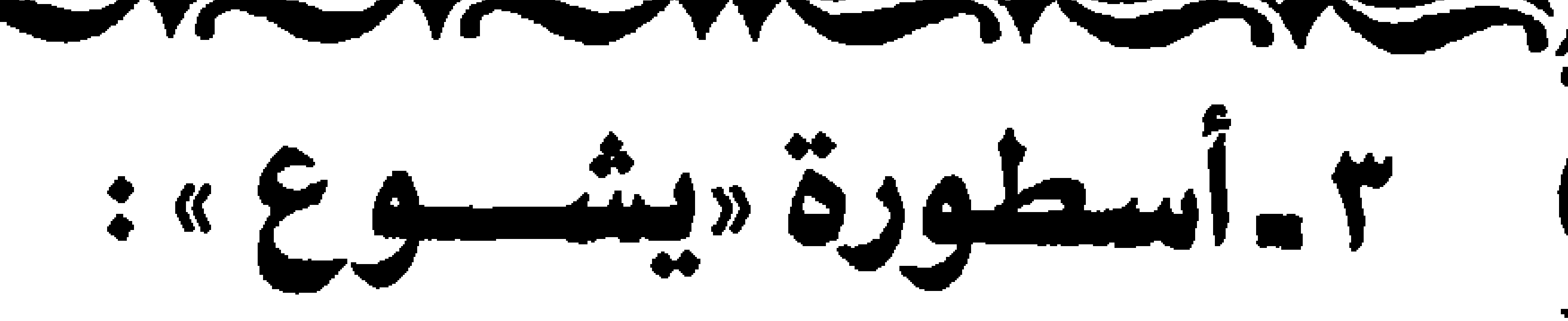
وفريهاسباتى : «إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة» (الثالث ، ١٨) .

«تعددت أسماؤه ولكنه واحد» .

فهذه النصوص المقدسة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح ، وكان الأب مونشانان يسميها «أشعار الطقوس المطلقة» .

[المصدر: جول مونشانان : الحياة الروحية فى الهند ، وخفايا الدين المسيحى . الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٩] .

●●●



٣ ـ أسطورة «يشوع» :

التطهير العرقى

«واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون، ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش.. وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون .»

سفر يشوع : ١٠ ـ ٣٤

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● فى ٩ أبـريل ١٩٤٨ ، أباد منـاحم بيجين ومعـه وحدات أرجـون العسكرية ، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفـــال .

●●●

لن ننقـاقش الفصل الخاص بـالحفـريات الأسطـورية في التـاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه ، لتبرير سياسة مّا ، إلا في حالة خاصة هى الاستخدام الذرائعى للـروايات التوراتية ، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حـاسما في مصيـر الغرب بتغطيـة العمليات الـدمويـة منذ اضطهـاد اليهـود من قبل الـرومــان ، ثم المسيحيين ، وحتى الحـروب الصليبيـة ، ومحـاكم التفتيش ، والتحـالفـات المقـدسـة ، والهيمنـة الاستعمـاريـة التى مـارستها « الشعـوب المختـارة » ، وحتى عمليـات الابتزاز التى مارستها دولة إسرائيل ، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لـوبياتها ، وخاصة بأقـوى لوبى لها وهى الولايـات المتحدة ، التى تلعب دورا هـاما في سياسـة أمريكـا للسيطرة العالمية والعدوان العسكرى .

هذا هـو السبب في اختيارنـا لهذا الماضى الأسطـورى الذي يـوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا .

●●●

وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها « رب الجيوش»، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد» مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبىء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية : « أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها ».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى ، ولكن « بعطية » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان. «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني ، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه : أى الأسفار الخمسة الأولى : التكوين، والخروج ، والأحبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوءى الفخيم الذي يذكّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطـة بطاعة القانون الـربانى وأنها مفتوحـة أمام جميع الشعوب وكل الناس .

●●●

وأسفار التوراة والكتب التـاريخية هى بمثابة تجميع خطـى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع ، ونُسَّاخ سَليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها ، والتى مع ذلك لا سبيل هنـاك للتحقـق منهـا بـالمقـارنـة أو المقـابلـة التاريخيـة ، أو بالأطلال الأثـرية ، ولا بوثـائق أخرى سوى الكتـابات التـوراتية . . ويتعلق الحـدث الأول الـذى أكدتـه التـواريخ الخارجيـة بسليمان ، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية .

وإلى هنـا ، لا تـوجد أيـة مصـادر خارجيـة أخـرى غيـر الكتابـات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها .

وعلى سبيل المثال ، فإن الآثـار الأركيولـوجية في حور بـالعراق ، لا تمدنا بأية معلومات إضافيـة عن إبراهيم ، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام .

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادى والثلاثون ، ٧ ـ ١٨) .

يقال لنا إن مـآثر « بنى إسرائيل » ، الذين هزموا المـدينين ، « فقاتلوا مدين كمـا أمر الـرب موسى وقتلوا كل ذكـر» « وسبى بنو إسـرائيل نساء مـدين » « وجميع مدنهم مع مسـاكنهم وقصورهم أحـرقوهـا بالنـار » .

وعنـدما عـادوا إلى موسى ، « فسخط مـوسى على وكلاء الجيش وقـال لهم مــوسى هل استبقيتم الإنــاث كلهـن ، فـالآن اقتلـوا كل ذكــر من الأطفال وكل امـرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها ، وأما إنـاث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم » . (١٤ ـ ١٨) .

وتابـع يشـوع ، خليفة مـوسى ، وفي أثناء غـزوه لكنعان ، وبطـريقة منهجية ، سياسة « التطهير العرقي » التي أمر بها رب الجيوش .

« وفتح يشـوع في ذلك اليـوم مَقيـدة وضـربهـا بحـد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التي فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا . ثم اجتـاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيـدة إلى لبنة وحـاربهـا . فأسلمهـا الـرب أيضـا إلى أيـدي إسـرائيل وهي وملكهـا فضربـوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيهـا فلم يُبقوا فيها باقيـا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا . وجـاز يشوع وجميع إسرائيل معه . من لبنة إلى لاكيش ونـزل عليها وحـاربها . فأسلم الـرب لاكيش إلى أيدي إسرائيل فـافتتحوهـا في اليوم الثـاني وضربـوها بحد السيـف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربـه يشوع هـو وقومـه حتى لم يبق منهم بـاقيا . واجتاز يشـوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون ونزلوا عليها وحاربوهـا وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها في ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش . وصعد يشـوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها » .

[المصدر: سفر يشوع، الفصل العاشر، ٣٤ـ٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد « عمليات الإبادة المقدسة » التى وقعت في الضفة الغربية.

وينبغى لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ ـ الأول بشأن صحتها التاريخية.

٢ ـ والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى:

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شيء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧، الصفحات ٢٥٦ـ٢٦٥].

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة.

[المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١ ، المجلد ١ ص . ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أى يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان): «فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم» (العدد، الحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: «فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده.» (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥).

ويكرر سفر تثنية الاشتراع : « وإذا أدخلك الرب، إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السابع، ١ ــ ٢) . « فلا يقف أحد بين يديك حتى تفنيهم » (الفصل السابع، ٢٤) .

ومن شارون إلى الحاخام مائير كاهانا، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين .

ألم تكن مسيرة يشوع هى مسيرة مناحم بيجين عندما قضى في ٩ أبريل ١٩٤٨ على سكان دير ياسين، من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة ، وقتلهم هو وجنود « الأرجون » لكى يفر العرب العُزَّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين: العصيان، تاريخ الأرجون، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠] .

فهو لم يطلب إلى اليهود، « ليس فحسب طرد العرب، بل الاستيلاء على كل فلسطين » .

وألم يكن طريق يشوع هى التى أشار إليها موشى ديان: « فإذا كنا نمتلك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغى لنا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة »؟

[المصدر: جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٧٧] .

وألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذى وضعه يورام بن بورات في الجريدة الإسرائيلية الكبرى أديعوت أحرونوت، الصادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونيـة واستعمار للـدولة اليهـودية بـدون إبعاد العـرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسـائل وأساليب هـذا الاستيلاء علـى الأرض فقد حددهـا رابين عندما كان جنرالا على الأراضي المحتلة : تكسير عظام ملقي الأحجار من أطفال الانتفاضة .

فماذا كـان رد فعل المدارس التلمودية في إسـرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المبـاشرين عن مذبحة صبرا وشاتيـلا وهو الجنرال رفـائيل إيتـان الـذى نـادى «بزيـادة تحصين المستـوطنـات اليهـوديـة القائمة» .

وبنفس هـذا اليقين ، انـدفع الـدكتـور بـاروخ جـولـدشتين ، وهـو مستوطن من أصل أمريكى ، من قرية أربـه « الضفة الغربية » وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجـرح أكثر من خمسين ، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمى . كان باروخ عضوا في جماعـة متطرفة تأسست برعاية أريل شـارون (أى تحت حمايـة من قاد مـذابح صبرا وشـاتيلا والـذى كـوفـىء على جـريمتـه بتعيينـه وزيـرا لـلإسكـان ، ومكلفـا بتنميـة المستـوطنـات في الأراضى المحتلـة) ، وهـو الآن مـوضع تبجيل المتطرفين الـذي يأتون إلى قبره بـالزهور وينحنون لتقبيلـه ، فهو الأمين على تقاليـد يشوع الراميـة إلى القضاء على كل شعـوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم .

●●●

وهذا التطهيـر العرقى الـذي يمارس بشكل منتظم في دولـة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقي الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطور التى تلى أمر الرب بالقضاء على السكان، يوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى له الاختلاط بالآخرين: « ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك » (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصرى هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به.

وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه « التلمود »[١] كتب الحاخام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

ولم يتقاعس عزرا ونحميا، عقب عودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكا عزرا لأن الجنس الطاهر (كذا !) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦ ، صفحة ١٠٤ .

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى : « جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا ، الفصل العاشر، ٤٤). ويقول نحميا عن اليهود : « فطهرتهم من كل غريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد تجاوز البعد الجنسي . فرفض دم الآخر بالزواج المختط ، يعني رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته .

وهكذا فإن « يهوى » ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة ، والتى لا يوجد غيرها طبعا : فسوفونيا يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية : « وفى تلك الأيا م أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم » . (نحميا، ١٣ ، ٢٣ - ٢٥).

ومن يخالف ذلك ، يتعرض للمحاكمة القاسية ، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب : « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة » . (التكوين، ٢٧ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعا من زواج ابنهما من فلسطينية : « فقال له أبوه وأمه ، أليس في بنات إخوتك وفى شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلْفِ : فقال شمشون لأبيه : بل إياها تأخذ لى لأنها حَسُنَت في عينى». (القضاة، ١٤ / ٣).

ويؤكد حاييم كوهين، الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا في إسرائيل أنه : « من سخرية الأقدار المريرة أن تستخدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التي روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة ، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل » (انظر جوزيف بادى، القوانين الأساسية لدولة إسرائيل ، نيويورك ، ١٩٦٠ ، ص-١٥٦).

والواقع أن المسألة قد طرحت أثناء محاكمة مجرمى الحرب في نورمبرج ، لدى استجواب منظّر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب في نورمبرج صدرت القوانين العنصرية» . فهل تم استدعاؤك أثناء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة ، وهل اشتركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟ .

ورد المتهم ستريشر: أجل ! اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنوات وأنا أكتب أنه ينبغى في المستقبل منع أى اختلاط للدم الألمانى بالدم اليهودى. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المعنى ، وكررت دائما أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهودى ، الشعب اليهودى ،

كنمـوذج . وأعـدت في مقـالاتى أن اليهـود يجب اعتبـارهم كنمـوذج للأجنـاس الأخرى ، لأنهـم يتبعون قـانونا عنصريـا ، هو قانـون موسى ، الـذى يقـول : إذا ذهبـت إلى بلـد أجنبي ، ينبغي لك ألا تأخـذ امـرأة أجنبية» . وهـذا أيها السادة ، على درجة كبيـرة من الأهمية للحكم على قـوانين نـورمبـرج ، فهى قوانيـن يهوديـة أخـذت كنمـوذج . فهى أصل الحفاظ على الهويـة اليهودية التى عاشت طـوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت » .

[المصدر: محـاكمة كبار مجـرمى الحرب أمام المحكمـة العسكرية الـدولية (نورمبرج : ١٤ نوفير ١٩٤٥ ـ أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)] .

وهكـذا وضع المشرّعـون والمستشارون فـي وزارة الداخليـة النازيـة قوانين نـورمبرج ، وحق أهالي الـرايخ ، وحماية الدم الألـمـانى والشرف الألـمانى » .

ويعلق هؤلاء المستشارين والمشرّعين على هذا قائلين :

« بناء على رغبـة هتلر (الفـوهرر) ، فإن قـوانين نورمبـرج لا تستلزم حقيقـة اتخاذ تـدابير من شأنهـا أن تزيـد من حدة التعصب العنصـرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك ، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقـات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى . وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج» .

وهـذه العنصـريـة ، نمـوذج كل أنـواع العنصـريـة الأخـرى، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة .

وأدت الحرفيـة إلى التمادى في المتجـازر التى قام بهـا يشوع : « إن مستوطنـى أمريكا مـن البروتستنت الأطهار، كـانوا في سبيـل الاستيلاء على أراضى الهنـود ومطـاردتهم ، وهـم يتـذرعـون بيشـوع « وعمليـات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطيين .

[المصدر: توماس نلسون، « أطهار ماسا شوشتش اليهودية ، المجلد السادس عشر، رقم ٢ ، ١٩٦٧].

وتندرج أيديولوجية « التـرنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبـادة الكنعانيـة والخوف من الاختـلاط ، وتسانـدها الآن غـالبية حاخامات يهودا وسامرا . وتقوم هـذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصـوص المقدسـة ، مثل الخطـاب المـوجه من الأحبـار إلى اليهـود يستحلفونهم فيها عدم ممـارسة اختلاط الأجناس (الأحبـار ١٩ / ١٩). وأمرهـم بـالتمييز بين الدم الطاهر والـدم الدنس (الأحبـــار ٢٠ / ٢٥)، والذى ميّز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠ / ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ٨ / ١٩) .

وهكذا لـم يتـورع الحاخـام الأكبر سيتروك أن يقـول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات :

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات » .

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغى ألا تتدنس

(عزرا : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأحبار ، ٢٠ / ٢٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا .

« ولا تصاهرهم ابنتـك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذهـا لابنك ، لأنه يغوى ابنك عـن اتباعى . . » . (تثنيـة الاشتراع ٧ / ٣ ــ ٤) . « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقيـة هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية) ، الـذين بقوا معكم وصـاهرتمـوهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فـاعلموا أن الـرب إلهكم لا يعـود يطـرد أولئك الأمم مـن وجهكم بل يصيـرون لكم وهقـا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطـاكم الرب إلهكم » . (سفر يشـوع ، ٢٣ / ١٢ ـ ١٣) .

وفى ١٠ نـوفبر ١٩٧٥ ، وفـى جلسة عـامـة ، اعتبرت منظمـة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى ، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحـدة وحصلت فى ١٦ ديسمبـر ١٩٩١ ، على قـرار بإلغـاء القـرار العـادل الصـادر في سنـة ١٩٧٥ . مع أن الحقـائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقـد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره و إبادته الجماعية البطيئة ، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل .

●●●



ثانيـــا

أساطير القرن العشرين

١ ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١ ، اقترف إسحاق شامير « جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقيـة ، فقد دعـا إلى التحالف مع هتلـر ومع ألمانيـا النازيـة ضد بريطانيا» .

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦ ، ص ـ ٩٩).

عنـدمـا بـدأت الحـرب ضـد هتلـر، وقفت الغـالبيـة العظمى من المنظمات اليهـودية إلى جـانب الحلفاء ، بل إن غـالبية زعمـاء اليهود ومنهم حاييم وايزمان ، اتخذوا موقفـا مساندا للحلفاء ، إلا أن الجماعة الصهيونيـة رغم أقليتها في ألمانيـا آنذاك اتخذت سيـاسة مخالفـة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١ ، وتـواطأت بل وتعـاونت مع هتلـر. وكـانت السلطات النازية ، وفي الوقت الذى كـانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الـوظائف العـامة على سبيل المثـال في مـرحلة أولى ، تتحـاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهـم معـاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم .

ولا ينصب الاتهـام بـالتواطـؤ مع السلطـات النـازية على الغـالبيـة العظمى من اليهود ، بل إن بعضهـم لـم ينتظر الحرب العـالمية لمكافحة الفاشيـة بالسلاح في إسبـانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفـوف الفرق الدولية . وأنشأ بعضهـم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية » وماتوا وهم يحاربون .

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكـان اهتمامهم الـوحيد بإنشـاء دولـة يهوديـة قويـة وحتى رؤيتهم العنصرية للعـالم، قـد جعل عداوتهم لـلإنجليـز أشد من عـداوتهم للنازية .

وبعد الحرب ، أصبحـوا ، كمناحم بيجين أو إسحاق شـامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل .

●●●

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يـومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمـانيا، كتب حاييم ويـزمان رئيس الـوكالة اليهـودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صـاحب الجلالـة ملك إنجلترا ، خطابـا يبلغه فيه : إننـا نحن اليهود في جانب بـريطانيـا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية » .

مشيـرا إلى أن « المفـوضين عن اليهـود على استعداد فـورى لإبـرام اتفـاق للسماح بـاستخدام كل قـواهم وعدتهم من الـرجال ومهـاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم » . وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كـرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهـو يعتبر بمثابـة إعلان

حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا . وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم «رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا » كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

●●●

ولقد برهن الزعماء الصهاينة ، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية ، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون .

فالهدف الأساسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين . وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل ، بن جوريون ، ودون مواربة ، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ ، أمام القادة الصهاينة من « العمال » : لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا ، أو إنقاد نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى ، لاخترت الحل الثاني . لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال ، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا » .

[المصدر : إيفون جلبنير ، السياسية الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية ، القدس ، المجلد الثاني عشر ، ص ـ ١٩٩] .

« لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة ، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم » .

[المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص ـ ٥٣٩] .

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان ، في يـوليـه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولـة لمنـاقشـة استيعـاب لاجئى ألمانيا النازية . فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن ، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعـاتهم . وهم يلتقـون في ذلك مع الفكـر الأسـاسى لأى عنصـرية ، بمـا في ذلك العنصريـة الهتلريـة ، وهو نقـاء الدم . ولهـذا السبب ، وطبقا لمعاداة السامية المنظمـة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهـود من ألمانيا ثم من أوروبـا عندما سيطـروا عليها ، فإن النـازيين اعتبـروا الصهـاينـة بمثابـة السنـد لهم لأنهم يخـدمـون هـذا المخطط .

وهناك قـرائن تدل على هـذا التواطؤ . فقـد وجه الاتحـاد الصهيونى الألمانى إلى حـزب النازى مـذكرة في ١ ـ يـونيه ١٩٣٣ ، أعلن فيهـا ما يلى :

« بتأسيس دولـة جـديـدة ، أعلنـت مبـدأ الجنس ، نأمل أن تتـواءم طـائفتان مع الهيـاكل الجديـدة . . . وإن اعترافنـا بالجنسيـة اليهوديـة

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني وحقائقه القـومية والعنصـرية. وذلك لأننا لا نـود أن نقلل من قـدر المبـادئ الأساسيـة ، ولأننا أيضا ضـد الزيجات المختلطـة . . فاليهود الـواعون بهـويتهم والذين نتحـدث باسمهـم ، يستطيعون أن يجـدوا مكانـا لهم داخل هياكل الـدولة الألمـانية ، لأنهم قد تحـرروا من الشعور بـالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟ . . إننا نعتقـد في إمكانية العلاقات المخلصـة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية .

ولبلـوغ هذه الأهـداف العملية ، تـأمل الصهيونيـة في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تمـاما لليهود . . فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج ، وعـدائهم للتوجه الألماني الحالى . والدعـاية للمقاطعة ـــ والموجهة حـاليا ضد ألمانيـا ـ هى في جوهـرها ليست صهيونية .

[المصدر: لوسى داووفيش ، قارئ للهلوكوست ، ص ١٥٥] .

وأضافت المذكرة : وإنه في حالـة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهـاينـة بكل جهدهم إلـى تحويل اليهـود في الخـارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا .

[المصـدر لوسى داووفيـش ، الحرب ضـد اليهـود (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) لنـدن ، ١٩٧٧ ، الصفحتان ٢٣١ ، ٢٣٢] .

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهـود من أجل همهم الـوحيـد بإنشـاء دولتهم في فلسطين . وكتب المنظِّر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج : ينبغي مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجمـوعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين .

[المصدر أ . روزنبرج : مسار اليهـود على مدار الزمن ، ميونخ ، ١٩٣٧ ، ص ١٥٣] .

وكتب رينهـارت هيدريش فـي عام ١٩٣٥ : يجب علينـا أن نقسم اليهـود إلى فئتين : الصهـاينـة ومـؤيـدى الاستيعـاب في المجتمـات الأخـرى . فالصهـاينة ينـادون بمفهوم عنصـرى بحت ، وبالهجـرة إلى فلسطين ، يساعـدون على بناء دولتهم اليهـودية الخـاصة بهم . . ولهم تمنياتنا وإرادتنا الرسمية .

[المصدر : هوهن : جمعية رأس الميت ، ص ٣٣٣] .

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية : ليس هناك من الأسباب ما يدعـو إلى عرقلـة النشاط الصهيـونى في ألمانيـا بواسطـة أى إجراءات إداريـة ، لأن الصهيـونية لا تتعـارض مع بـرنـامج الاشتـراكية القـوميـة (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ ـ ٨٣ zu ، المؤرخ في ٢٨ / ٨ / ١٩٣٥] .

وقـد طبقت هذه الأوامـر بحذافيـرهـا لتأكيد الإجـراءات السابقـة .

وبفضل هـذا المركـز التفضيلي للصهيونيـة في ألمانيـا النازيـة ، كتب الجيستابو البـافارى إلى البوليس في ٢٨ ينايـر ١٩٣٥ ، هذا المنشور:

«ينبغي ألا يعامل أعضـاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهـم الموجه نحـو الهجـرة إلى فلسطين ، بنفس الصرامـة الـواجبـة حيـال أعضـاء المنظمات اليهودية الألمانية ».

[المصدر: كورت جروسمان، « الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات» المجلد الرابع ، ، ص ٣١٠].

« لقد كـان وجود المنظمـة الصهيونيـة ليهود ألمـانيا وجـودا قانـونيا وشرعيـا حتى عام ١٩٣٨ ، أى بعـد مضى خمس سنوات علـى اعتلاء هتلـر الحكم . . واستمـرت صحيفـة الصهاينـة الألمـان تصـدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الـرسمى بالزعماء الصهـاينة بوصفهم الممثلين الـوحيـدين للطـائفة اليهـوديـة ، فقـد عـرضـوا القيام بكسـر الحصـار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما .

وابتـداء من ١٩٣٣ ، بـدأ التعاون الاقتصـادى : وأنشئت شـركتـان هما : شركة هعفرا ، في تل أبيب ، وشركة يالترو، في برلين .

وكانت آلية العمليـة على النحو التالى : يودع أى يهـودى يرغب في الهجـرة ، في بنـك فـاسـرمـان فـي بـرلين ، أو فى بنك فـاربـورج في

هامبـورج، مبلغا لا يقل عن ١٠٠ جنيه استرلينى وبهـذا المبلغ يشترى المصـدرون اليهود بضـائع ألمانيـة وجهتها فلسطين، ومع دفع القيمـة المقابلـة بالجنيهـات الفلسطينية ، ولحسـاب شركة هعفـرا، في البنك الإنجلو فلسطينى في تل أبيب. وعندمـا يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا.

وقد شـارك عـدد كبير من رؤسـاء وزراء إسـرائيل فـي هـذه العمليـة ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلاقا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين.

[المصدر: « بن جوريون وشرتوك »، ص ٢٩٤].

ولقد كـانت العملية مربحة بـالنسبة للطرفين : فقـد نجح النازى في تحطيم الحصـار (ونجح الصهـاينـة في بيع بضـائع ألمـانيـة حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها : فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيـونى في فلسطين). وطبقا لأهـداف الصهيونيـة، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهوديـة من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عمليتهـا، وإن حياة اليهود المعدمين أو غيـر القادرين على العمل أو على الحرب، ما هى إلا عالة وعبء ثقيل.

ودامت سياسـة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنـوات بعد وصول هتلر إلى السلطة). وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر.

فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفي جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ « والمبادلات » بين اليهود الصهاينة « المهمين » بالنسبة لإنشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣ : الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

« وسيقولون إنني معاد للسامية، وإنني لا أريد أن أنقذ من في المنفى ، وإنني لا أملك قلب يهودي يدشي حار (واليدشي هي لغة يهود أوروبا) » . [. . .] ولندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطالب الوكالة اليهودية بأن تخصص مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ولا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرليني لمساعدة اليهودية الأوروبية .

وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية » .

[المصدر: جرونبوم: أيام التدمير، ص ٦٨٠].

وقد كان ذلك هو وجهة نظر بن جوريون أيضا : « إن مهمة الصهيوني لا تكمن في إنقاذ « بقية » إسرائيل الموجودة في أوروبا ، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى » .

« واتفق زعماء الوكـالة اليهودية على أن الأقليـة التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيـارهـا وفقـا لاحتيـاجـات المشـروع الصهيـونى في فلسطين» .

[المصدر: توم سجيف، ص ١٢٥ ، ص ١٥٨] .

وقـد حضرحنـا أرنت ، أحـد كبار المـدافعين عن القضيـة اليهوديـة بدراسـاته وكتبه ، هذه المنـاقشات . وخصها بكتاب هـو: إيخمان في القدس . بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ــ ١٤١) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة .

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك : « طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها» . (صفحة ١٤١) .

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفـاضة جيتو وارسـو، والذى طلب فيه رئيس دولـة إسرائيل من ليش فـاليزى ، رئيس بـولندا ، ألا يعطى الكلمـة لماريك إيـدلمان ، الـرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة .

فقـد أجرى مـاريك ايدلمـان فعـلا مقابلـة آدوار التير من صحيفـة هـارتس الإسرائيليـة فى ١٩٩٣ ، ذكّر فيهـا بمن كانـوا هم المحرضـون الحقيقيـون و إبطال اللجنـة اليهـوديـة للكفاح في جيتـو وارسـو، وهم

الاشتراكيون من البوند والمعادون للصهيونية، والشيوعيون، وأتباع تروتسكى، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدولية في إسبانيا وفرنسا، أثناء الاحتلال، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة.

ويحكى ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ثم » «المجلس اليهودى العالمى »، في سيرته الذاتية، مقابلته المأساوية مع وزير الخارجية التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥، التى عاب فيها على الصهاينة كسرهم لحصار هتلر بواسطة شركة هعفرا (واتفاقات النقل) ورفض المنظمة الصهيونية العالمية تنظيم المقاومة ضد النازية.

« لم أشعر في حياتى بالأسى والخزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها، إلا خلال هاتين الساعتين. لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق ».

[المصدر : ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، الصفحات ١٥٧ ـ ١٥٨].

«وقد استقبل موسولينى وايزمان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومرة أخرى في ١٧ سبتمبر ١٩٢٦؛ وتحدث ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مع موسولينى في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧، الذى قال له :

سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية ». (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهى مجموعة «ليحى» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شامير، « جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا ».

[المصدر: بارزوهار، بن جوريون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦، ص ٩٩].

وكشف أليزرها ليفى، النقابى العمالى المعروف، وعضو كيبوتز يهوى، في أسبوعية « هوتام» التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: « من ناحية المفهوم، فنحن نتطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد، في مقال له نشر في جريدة أديعوت أحرونوت اليومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣، على صحة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية.

وهاك بعض الفقرات الرئيسية لهذا النص: « المبادىء الأساسية للمنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين (أرجون زفاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا ». يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهودية عن أوروبا. وأن هذا هو الشرط الأولي لحل المشكلة اليهودية، ولكن هذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجموع في فلسطين، فى دولة يهودية، وداخل حدودها التاريخية.

وإن حل المشكلة اليهودية بصورة نهائية، وتحرير الشعب اليهودى، هو هدف النشاط السياسى والسنوات الطويلة لكفاح «الحركة من أجل حرية إسرائيل» (ليحيى) ومنظمتها العسكرية الوطنية في فلسطين. (أرجون زفاى ليومى). وتعترف المنظمة بالموقف المتسامح لحكومة الريخ حيال الأنشطة الصهيونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جانب ألمانيا شريطة اعتراف حكومة ألمانيا بالتطلعات القومية لحركة ليحى.

وسيسير تعاون حركة تحرير إسرائيل، طبقا للبيانات الأخيرة

لمستشـار الـريخ الألمـانى التـى شـدد فيهـا السيـد هتلـر على أن أى مفاوضات وأى تحالفات ينبغى أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها .

والمنظمـة ، بهيـاكلها ومفهـومهـا للعـالـم ، مـرتبطـة ارتباطـا وثيقـا بالحركات الشمولية الأوروبية» .

[المصدر: النص الأصلى باللغـة الألمانية المنشور في كتـاب دافيد يزرائيلى : المسألة الفلسطينيـة في السياسة الألمـانية ، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣١٥ـ٣١٧] .

وحسب مصـادر الصحــافـة الإسـرائيليـة ، التى نشــرت عشـرات المقالات في هـذا الموضوع ، فإن النـازى لم يأخذ اقتراحـات شتيرن ، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا .

وقد تـوقفت المفاوضـات بين الطرفين عنـدما ألقت قـوات الحلفاء القبض في يـونيه ١٩٤١ ، على منـدوب شتيـرن وشاميـر ، وهو نفتـالى لـوبنتشيك ، داخل مكتب الجهـاز السرى النـازى في دمشق . وهنـاك أعضـاء في المجمـوعـة واصلـوا الاتصـالات حتى إلقـاء القبض على إسحاق شـامير من طـرف السلطات البـريطانيـة في ديسمبر ١٩٤١ ، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليـوم أيضًا رئيسـا لمعارضة قـوية وأشدهـا تمسكا بـاحتلال الضفة الغربية . وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة ، رغم مخاصماتهم

الـداخلية، يـواصلـون نفس الهدف العنصرى: طـرد السكان العـرب الأصليين بـالترويع والاغتصـاب أو النفى، لكى يظلـوا وحدهـم الغـزاة والأسياد.

لقـد صـرح بن جـوريـون: « إن بيجيـن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى. فهـو عنصرى على استعداد لإبادة كل العـرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس، باستخدام كل الوسائل».

[المصدر أ. هـابر، مناجم بيجيـن، الرجل والأسطورة، نيـويورك، ١٩٧٩، ص ٣٨٥].

ونفس هذا الابن جوريون لم يؤمن أبدا بإمكانية التعايش مع العرب. وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل، كلما كان ذلك أفضل.

وفي عـام ١٩٤٠، ولإثارة السخط على الإنجليـز الذين كـانوا قـد قرروا إنقـاذ اليهود المهـددين من هتلر، وذلك بـاستضافتهم في جـزيرة موريشيس، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية « باتريا »، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠، لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

[المصدر: دكتور هرتـزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيـويورك، نوفمبر ١٩٥٨].

ويؤكـد يهودا بـاور حقيقة هذا التفجيـر بواسطة الهـاجانـاه ، وعدد الضحايا، في كتابه يهود للبيع .

[باريس ، ١٩٩٦، ص ـ ٨٤].

ومثال آخر، العراق :

لقـد كـانت الطـائفـة اليهـوديـة (١١٠٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلـة في البـلاد تمـامـا . وأعلن حـاخـام العـراق الأكبـر خـدوری ساسون : « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد » .

ثم بدأت التصـرفات الإرهابيـة الإسرائيليـة ، في ١٩٥٠ في بغداد. وأمام إحجـام اليهود العراقيين وتـرددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجـرة إلى إسرائيل ، لـم تتـردد الأجهـزة السريـة الإسرائيليـة ومن أجل إقنـاعهم بأنهم فى خطـر، بإلقاء القنـابل عليهم . . وقتل الهجـوم على معبـد « شيم تـوف » ثلاثـة أشخـاص وجـرح العشرات . وهكـذا بـدأ الخروج الجماعى المسمى « عملية على بابا » .

[المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت ، ٨ نوفبر ١٩٧٧] .

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمى .

ولقد أثبتت الـوقائع أن تيـودور هرتـزل كان على حق . وكـان اليهود الصالحـون يرددون كل يوم : « العـام القادم في القـدس » . وجعلوا من القـدس رمزا لتحـالف الـرب مع الإنسان . ولكن « العـودة » لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩، وفى حـديث مـوجـه لمجمـوعـة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون: « رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية. فلا يوجد في إسرائيل اليـوم سوى ٩٠٠٠٠٠ يهودى، بينمـا غالبيـة الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج. ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل ».

وكام هدف بن جوريون هو إحضار أربعة ملايين يهودى في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١. ولم يحضر سوى ٨٠٠٠٠٠. وفي عام ١٩٦٠، وصل طوال السنة ٣٠٠٠٠ مهاجر فقط. وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها.

ويعض عمليات الاضطهـاد الكبرى ، كـالتى حدثت فى رومـانيا، هى التى كانت وراء « العودة ».

وحتى فظـاعة هتلـر وأعمالـه الشرسـة لم تنجح فى تحقيق حلم بن جوريون.

فمن بين ضحايـا النازيـة من اليهود الذين التجـأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣، ذهب منهم بـالكـاد نسبـة ٨,٥٪ لـلإقـامـة في إسرائيل. وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠٠٠ (أقل من ٧٪)، وإنجلتـرا بعـدد ٦٧٠٠٠ (أقل من ٢ ٪) أمـا الغـالبيـة العظمى، أى نسبة ٧٥ ٪، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى.

[المصدر « معهد الشئون اليهودية » في نيويورك].

وثمة مثال نموذجي للتلاعب بالتاريخ من طرف المؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخير، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجامعة العبرية في القدس. فكتابه عنوانه: يهود للبيع، مع عنوان جانبي: المفاوضات بين النازى واليهود، ١٩٣٣ - ١٩٤٥، وصدر في باريس عام ١٩٩٦.

ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنه عمل علمي بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس.. إلخ.

هذا في الظاهر فقط، لأن بعض المصادر التى تعالج الموضوع، والتى لم يستطع المؤلف تجاهلها، مرت مرّ الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعارض مع نظريته التى ترمى إلى إبراز عناية زعماء الصهاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من «الانتقاء»).

والأعمال التى ذكرها المؤلف، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية. ولم يشر الكتاب إلى تواطؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١، الذى اقترحه شامير. وقد وضع باور قائمة بأسماء «المتفاوضين» مع هتلر، وأضاف: «وقد أصبحوا كلهم من الأبطال» أما كل من نادى بمقاطعة هتلر على مستوى العالم، فهم في نظره ليسوا بأبطال!

وغاية الكتاب هى محاولة إخفاء حقيقة أساسية هى أن الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة أثناء حكم هتلر، لم يكن إنقاد اليهود من نار

النازى ، بـل وطبقا للمشروع الصهيـونى السيـاسى الذى وضعـه تيودور هرتزل ، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية .

والموضوع الـرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهـام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهـود » وليست حربا ضد الشيوعيـة في المقام الأول، مما جعله يـوجه معظم قوته الحـربية تجاه الشرق ، والسعى إلى إبـرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا ، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين .

« إن جميع المـؤرخين يتفقـون على أن هيملـر كـان يفضل سـلامـا منفصلا مع الغـرب حتى يكرس كل قواه ضـد الخطر البلشفى » (ص ـ١٦٧) « وكـان فـون بوبـن يعتقد اعتقـادا راسخـا في تفـاهم قـادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للـوقف كسد في وجه الشيوعية » (باور، ص ـ ١٨٩) .

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف ، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به .

« لقد كـان النازى يعرفـون ، وعلى النقيض من الروس ، أن حكـومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهمـا بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسهـا اليهود عليهما » . (باور ، ص ـ ٢٦٠) .

وفي عام ١٩٤٤ ، اقتـرح إيخمان على المندوب الصهيونى بـراند ،

مبادلة مليون يهودى مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخدامها على الجبهة الروسية دون سواها .

وساند بن جوريون وموشى شاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جوريون بالفعل نداء شخصيا إلى روزفلت « حتى لا تفلت هذه الفرصة الفريدة وربما الأخيرة لإنقاذ آخر يهود أوروبا » . ولقد كان الهدف واضحا : مبادلة اليهود مقابل معدات إستراتيجية ، بل وإقامة اتصالات دبلوماسية مع الغرب ، وهى اتصالات قد تؤدى إلى سلام منفرد ، أو حتى إلى حرب يشترك فيها الألمان مع الغربيين ضد السوفيت» (باور، ص ـ ٣٤٣) .

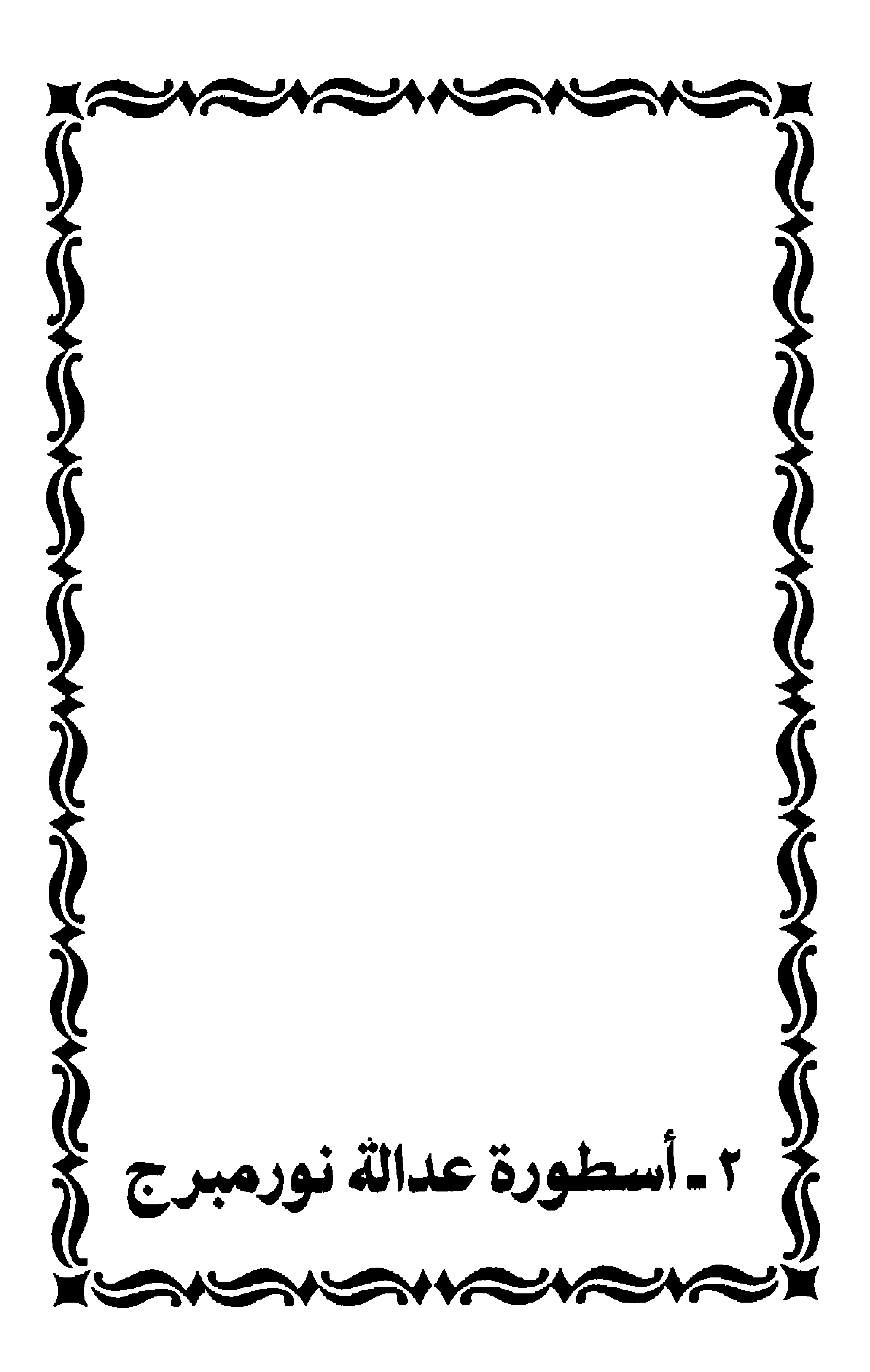
وأخفقت هذه المؤامرة عندما قام الأمريكان والإنجليز بإبلاغ السوفييت بهذه المساومات . ويقول باور فى هذا الصدد : « لقد كان الدور الأساسى لروسيا في المعركة ضد ألمانيا النازية بمثابة الدعم الجوهرى لصلابة موقف الحلفاء . فقد انهزم الفرماخت (الجيش الألمانى) في روسيا على يد الجيش الأحمر. وبدون السوفيت وما عانوه، وبدون أعمالهم البطولية، فإن الحرب كانت ستدوم سنوات وسنوات وربما لم نكسبها » . (باور ص ـ ٣٤٧) .

وعلى كل حال ، فإنه من البداية وحتى النهاية، لم يفكر الزعماء الصهاينة (وهم الذين تولوا الحكم في إسرائيل مثل شامير) إلا في تأسيس دولة قوية في فلسطين، ولم يفكروا لحظة واحدة في المسئوليات التى تقع على عاتق جماعة المقاومين لهتلر، كما لو أن

النازيين لم يكـن لهم أعداء أو ضحايـا إلا اليهود ، وأن الأمـر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهـم .

وحتى الإنجليـز فقـد انتهى بهم الحـال إلى إظهـار سخطهم لهـذه الرغبـة في تجاهل معـاناة ٥٠ مليـون من ضحايا الهتلـرية ، والمطـالبة بإنقـاذ اليهود دون سـواهـم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقـدر منهـم على بناء دولة قوية في فلسطين .

●●●



٢ ـ أسطورة عدالة نورمبرج

« إن هـذه المحكمة تمثل استمـرارا لجهود حـرب الدول الحليفـة »
روبرت جاكسـون النائب العام للولايـات المتحدة (جلسة ٢٦ يوليـــه ١٩٤٦).

في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، اجتمع الـزعمـــاء الأمـريكيـون والإنجليـز والفرنسيـون والروس في لنـدن للاتفاق على « مـلاحقة وتـوقيع العقاب على كبـار مجـرمى الحـرب التـابعين لقـوى المحـور » وذلك بإنشـاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى ، أ).

وقـد صُنّفت الجـرائم في المـادة ٦ من الفصل الثـاني على النحـو التالى :

١ ـــ جرائم ضـد السلام ، وهى تتعلق بتحـديـد مسئوليـة من قامـوا بإشعال الحرب .

٢ ـ جرائم الحرب ، وتخص خرق قوانين وأعراف الحروب .

٣ ـــ جـرائم ضـــد الإنســانيـة، وهى الجـرائم المقتـرفـة ضـــد المدنيين . وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا ـــ أنهـــا لم تكن محكمـــة دوليـــة حيث لـم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب، وبالتـالى فإن الجرائم التى كانت ستحجز هى

---

(١) في ١٩١٩ ، كتب الاقتصـادى الشهيـر لـورد أورج كينز يقـول : بمعـاهـدة كهذه، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عاما .

الجرائم التى اقترفها المنهزمون. وهو ما اعترف به النائب العام الأمريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦، حيث قال: ما زال الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا... وبوصفها محكمة عسكرية، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرارالجهود حرب الشعوب الحليفة».

ـ وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شىء مسئوليتهم إشعال الحرب.

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألمانى [1]. وعلى سبيل المثال، إجبار ألمانيا المهزومة في ١٩١٨، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا.

وانهار الاقتصاد الألمانى وأصيب الشعب الألمانى بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهى إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس وإذلال للشعب الألمانى.

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألمانى) ، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالز، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب، وهناك صناعات أخرى مُولت من طرف مورجان أو روكفلر . .

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلر إلى الحكم .

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام » .

وكثيرا ما ذكرت اللعنات التى كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود. وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من الجزء الثاني من « كفاحى » حيث تناول هتلر ماضى حرب الغازات التى شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى، وهو الفصل المعنون: «حق الدفاع الشرعى »، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان .

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩ ، قال كذلك :

« يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب الإنهاك في بعض الدول

حيث تحميهم الاحتكارات والامتيـازات التى يمارسونها على الصحـافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها . ومع ذلك ، فإذا ما نجح هنـا الشعب مرة ثـانية في دفع مـلايين الأشخاص إلى نـزاع قد يعـود عليهم بالفـائدة ، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهـور شجاعـة الحركـة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيـا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات » .

وفي ٣٠ ينـاير ١٩٤١ ، قـال هتلر لجمـوع يهود أوروبـا « إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة» . وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ ينـايـر ١٩٤٢ ، أن الحـرب « ستقضى علـى اليهـوديـة في أوروبـا » . والوصية السياسيـة لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكريـة الدولية تعج بهـذه الأراء . فهتلر يتحـدث عن تـدمير « نفـوذ مـا » أمـا هيملر فإنـه يتحدث مباشرة عـن تدمير الأشخاص . فقد قال لجنرالاتـه في ٥ مايو ١٩٤٤ ، في سونتهـوفن ، ما يلى : « في هذا النزاع مع آسيـا ، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيـان قواعـد اللعبة والأخلاقيـات المتعارف عليهـا أثناء الحـروب الأوروبيـة المـاضية ، رغـم أنها عـزيـزة علينـا وتتنـاسب مع عقليتنا» .

ولكن هذه الوحشية لم تكن من نصيب معسكر واحد .

فقد طلب لكيفتون فاديمان ، محرر مجلـة نيويوركر الأسبوعية ، في

عـام ١٩٤٢ إلى الكتـاب « خلق روح مـن الحقـد الشـديـد ضـد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى ».

وأضاف: والطريقة الوحيدة لكى يفهمنا الألمان هى قتلهم. وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا».

وفي شهر أبريل ١٩٤٢، كتب يمتدح كتاب دى سال « إعداد الغد» ويشـرح مفهومـه العنصـرى، فقال: إن العـدوان النـازى ما هـو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبيـر النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانـى. وما هتلر إلا تجسيـد لقوى أكبـر منه ». ووافق علـى اقتراح هيمنجواى القائل: إن الحل النهائى سيكـون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة.

ولـم تكن هذه الآراء بـالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جـريدة الديلى هيرالد اللندنية مقـالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست، جاء فيه: « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم »، ومن أجل ذلك تركيز علمنـا على اكتشاف مفرقعات جـديدة ومخيفة.. ورغم أن رجل الـدين لا ينبغى لـه أن ينـزلـق إلى مثل هـذه العـواطف، إلا أننى صراحـة لو استطعت، لمحوت ألمانيـا من خريطة العـالم. إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون».

ولحسن الحظ ثـارت الاحتجاجـات ضـد مثل هذه الضـلالات في إنجلترا حيـث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقـافته الـرفيعة

وبين زعماء دمـويين ممتلئين بالحقـد والبغضاء، وهو مـا ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها .

ومنذ عام ١٩٣٤ ، أعلن الـزعيم الصهيونى فلاديمير جـابوتنسكى . «إن مصالحنـا اليهودية تحتم القضـاء النهائى على ألمانيـا ، فالشعب الألمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا » .

وقال تشـرشل من جانبه في ١٦ مـايو ١٩٤٠ : « سنجوع ألمانيا . وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها » .

[المصدر : بول بودوان ، تسعة أشهر في الحكومة ، ١٩٤٨ ، ص ـ ٥٧] .

وقال الـوزير البـريطانى اللـورد فانسيتـارت في عام ١٩٤٢ ، تبـريرا لفظاعة الغارات البريطانية : « إن الألمان الطيبين وحدهم ، هـم الموتى الألـمان ؛ وعلى ذلك ، فلتمطر السماء القنابل ! » .

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركـانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى :

« أود أن تفكر جديًا في مسألـة الغازات الخانقة . . . وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخـانقة هذه . . . ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء ، . . . .

[المصدر: الإرث الأمريكى ـ عدد أغسطس ـ سبتمبر ١٩٨٥] .

ولم يقف لا تشـــرشل ولا تـرومـــان ولا ستـالين في قفـص الاتهـام

كمجرمى حرب. كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تيودور كوفمان الأمريكى اليهودى الذى وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتابه: « يجب إبادة ألمانيا »، قال فيه: «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا ». وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتى إيليا اهربنورج عام ١٩٤٤: اقتلوا ! اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون ! ».

وهؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو ـ أمريكان عن قصف مدينة درسدن الألمانية، والذى أسفر عن ٢٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، وذلك دون أدنى فائدة عسكرية، لأن الجيش السوفيتى كان قد تجاوز هذه الأهداف. ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ومصرع ٣٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، دونما ضرورة عسكرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

لقد كانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم.

وهكذا جاء النظام الأساسى لهذه المحكمة:

المادة ١٩ : لـن تتقيد المحكمـة بالقواعـد الفنية المتعلقـة بإقـامة الأدلة والبراهين . وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة .

● المادة ٢١ : لن تطلب المحكمـة تقديم البـراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة، وستعتبرها ثـابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء .

هذا هو الوحش القانونى الذى ينبغى أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلَّم بصحتهـا وكمعاييـر لحقيقة تـاريخية لا يمكن أن يمسهـا إنسان طبقـا لقانون جيسو ـ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (فى فرنسا) .

فهـذا النص قـد أضاف إلى قـانـون حـريـة الصحافـة الصـادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التى تنص علي ما يلى :

« يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ (وهى بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنـة واحدة ، وبغرامة قدرها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ فرنك ، أو بإحدى هاتين العقوبتين) كل من ينكر ، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣ ، وجود جريمة أو أكثـر من الجـرائم ضـد الإنسـانية كمـا جـاءت في المـادة ٦ من النظـام الأسـاسى للمحكمة العسكريـة الدوليـة الملحقة باتفـاق لندن بتـاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، والتى اقترفت سـواء من طرف أعضـاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سـواء بواسطـة شخص ثبتت إدانتـه في مثل هـذه الجرائم من محكمـة

فرنسية أو دولية .

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى :

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى .

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمـن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١ ـ ٥١ من القانون الجنائى ، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة » .

ولقد أثارت إجراءات محكمة نـورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى، وهم قضاة المحكمة العليا ، بدءا بـالقاضي جاكسون الـذى كان رئيسا لمحكمة نـورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج ، : « لقـد شعر كبار القانونيين في العـالم أجمع بـالخجل من إجـراءات نورمبـرج . ولا شك أن القـاضى روبيرت جـاكسون ، الـرئيس الأمريكى لـلادعاء ، كان يخجـل من هذه الإجراءات . وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها .

أما القاضى فينرستروم ، من المحكمـة العليا في الولايات المتحدة ، ورئيس إحـدى المحــاكم فقـد أبـدى امتعـاضـه واشمئــزازه من جـو المحاكمة ومـوقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيـابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة . ونشر في جـريـدة شيكاغـوديلى تـريبيـون الصادرة في ٢٣ فبـرايـر ١٩٤٨ ،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات .

ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن ، فقد ووفق على التقرير السوفيتى بشأن كاتين ، والذى يتهم الألمان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندى ، « كدليل إثبات صحيح » ، ولا يناقش من طرف المنتصرين .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى : « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل » ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضي ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر ، وهى أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى الولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولى .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا ، وهو الأمر الذى ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى العام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة ، وفي الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .

غير أن هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين : شهادة هوتل وأخرى لويزليسنى (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست. . . وكان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهود. وطلبت منه كم كان عددهم، فأجابنى رغم سرية العدد الشديدة، إنه طبقا للمعلومات التى يمتلكها فقد وصل إلى النتيجة التالية : نحو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلف معسكرات الاعتقال، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى » .

[المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧].

وأعلن الثاني :

« كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه » [المصدر السابق].

وهاتان الشهادتان، كما يقول مولياكوف نفسه : « من الممكن الاعتراض على هذا الرقم الذى لا سند له كما يمكن اعتباره رقما مشبوها » .

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦].

وتذكر الصحيفة العبرية الصادرة في نيويورك بتاريخ ٣٠ يونيه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملايين و ٣٧٥٠٠٠ شخص

قد قدموا طلبات للحصول على « تعويضات » نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ ـ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ـ تحليل قيمة الشهادات والظروف التى تم في ظلها الحصول عليها.

٣ ـ البحث العلمى لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره.

أ ـ النصوص:

تتألف النصوص الأساسية، والتى تعتبر حاسمة للتدليل على «الحل النهائى» من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التى بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجد لها أثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر ـ ميجو في ١٩٦٨ ، تقول : كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤ ».

[المصدر : أولجاورمسر ـ ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس ١٩٦٨، ص ـ ٥٤٤ وص ـ ١٣].

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠ : « لا توجد أى وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود. . . ولا تظهر عبارة « الإبادة » في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية ».

[المصدر : لوسى داوديفتيش، الحرب ضد اليهود، ١٩٧٥، ص ـ ١٢١].

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى (وهما من كبار المفكرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢].

« رغم البحوث المتعمقة ، لم يتم العثور مطلقا على أمر من هتلر بإبادة اليهود ».

[المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع، ١٩٨١، ص ـ ١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف : «(. . .) لا يجب التساؤل عن الكيفية التى كان من

الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية . لقد كانت ممكنة تقنيا لأنها حدثت . وهذه هي نقطة الانطلاق اللازمة لأي تحقيق تاريخي حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكرّ بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز » .

وهذه الممنوعات الثلاثة ، أو المحرمات الثلاثة هي الحدود النهائية لأي بحث .

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تاريخية في تأريخ التاريخ ، بوضعه مثل هذه الأوامر الشرطية مسبقا أمام أي بحث أو نقد للأحكام التي أصدرها المنتصرون .

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحترم النظم الأساسية العلمية ، ينبغي أن يكون بمثابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقد أنه قد ثبت نهائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثال مشهور:

« لقد توخّت اللجنة الدولية لاوشفيتز في نوفبر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتي تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخرى تحمل عبارة « أكثر من مليون قتيل » . ولكن الدكتور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض على ذلك » .

[المصدر : جريدة لوسوار ، بروكسل، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٩١ ، ص ـ ١٦].

والواقع أن الدكتور جولدشتين لـم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنـه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجـديدة أى رقم، لعلمه أنه قـد يصبح من الضـروري في زمن قصير إعـادة النظر مرة أخـرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هـذا فإن اللـوحـة المثبتـة على معسكـر بيـركينـاو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤.

« هنا وفـي الفترة ما بين ١٩٤٠، ١٩٤٥، عُـذِّب أربعة مـلايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل مـا قامت بـه اللجنة الـدولية لمتحف الـدولة الـذى يرأسـه المـؤرخ فلاديسـلاف بـرتـوزيسكى، تعدل النص على النحـو التـالى والذي لا يبعد عن الحقيقة:

« ليصبح هذا المكان ، الذى قتل فيـه النازيون مليوم ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهـود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية ».

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهدا المثـال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهـاب الفكرى للمنادين بالحقـد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمـة. فإما أن يكون تعـديلى (أى قابل لإعـادة النظر فيـه وتعديلـه) وإما أن يكـون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج:

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة. وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى، دون تمييز عقائدى. وعلى ذلك، فلا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة ».

وفي المادة ٥، جاء ما يلى:

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب ».

وجاء كذلك في المادة ٨، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤. وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها.

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة. وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية اليهودية ».

أ ـ أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ.

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن « الحل النهائى » بصورة منهجية.

[المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال، (المجلد ٣، ١٩٨٦ ، ص ـ ٢٩٤).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا ». أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال. . !

وكان هتلر ينادى في كتابه « كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا. واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك.

وفي يوليه ١٩٤٠ ، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد ، هذا التوجيه في العبارة التالية : « كل اليهود خارج أوروبا ! ». وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات و إمكانيات ضخمة.

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١ .

طلب هيدريش من جورنج : « في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر باتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية . فهل عليّ الآن مد هذه المهمة التى أسندتموها إليّ لتشمل الأراضى الجديدة التى استولينا عليها في روسيا . . . »

وهنا كذلك ، لاشيء بخصوص قتل اليهود. والأمر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا ، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة .

فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) .

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ، ومنها الموت الرحيم ، وأمر قتل الكوماندوز البريطانيين ، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محاكمة ، وإبادة أهالي ستالينجراد من الذكور عند احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها ، فالوثائق موجودة ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصول ولا الصور ، ولا الأوامر أو التوجيهات اللازمة لتنفيذ هذه التعليمات الضخمة .

« في يناير ١٩٤٢ ، أبلغ رينهارد هيدريش ، رئيس الجستابو ، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية ،

مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة » .

وفي المـــذكـــرة التـى عممت في مــــارس ١٩٤٢ داخـل مكتب هيدريـش ، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبـا سيجرى تجميعهم فـي الشرق «انتظارا لإرسـالهم بعد الحـرب إلى أراضٍ نائيـة ، مثل مدغشقـر ، لكى تصبح وطنهم القومى . . »

ويذكر بولياكوف : « وكـان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه ، هو الذى كـان يطلق عليه الزعمـاء الألمان اسم « الحل النهـائى » للمسألة اليهودية .

[المصدر : بولياكوف ، محكمة القدس ، باريس ، ١٩٦٣ ، ص ـ ١٥٢] .

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن ، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : « لقـد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلـة اليهودية من العبارات التقليدية لـلإشارة إلى الخطة الهتلرية الراميـة إلى إبادة اليهود الأوربيين » .

[المصدر جيرالد ريتلينجر ، الحل النهائى ، ص ١٩] .

وليس هناك مـا يبرر افتراض هـذه اللغة الشفريـة التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله . وهاك مثالان على ذلك :

الأول : خطـاب جـورنج المـؤرخ في ٣١ يـوليـه ١٩٤١ ، والـذى يستكمل فيه جورنج تعليماتـه إلى هيدريش : « استكمالا للمهمة التى أسنـدت إليكم بتـاريخ ٢٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩ ، أكلفكم بأن تعـرضـوا على

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والمادية لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلع إليه للمسألة اليهودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا ».

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص-٤٠١ (الطبعة الثانية)].

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق ما كان يطبق في ألمانيا على أوروبا نظرا للظروف التى استجدت. ما لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقا لمخطط مسبق. والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لا يشير في أى لحظة إلى فكرة« الإبادة » التى ألصقها له المدعى العام في نورمبرج روبرت كمبنر عندما أعلن: « بهذه السطور، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) ».

وقد اعترض جورنج على الترجمة الإنجليزية للعبارة الألمانية «الحل الشامل » بعبارة « الحل النهائى »، مما حدى بالمدعى العام جاكسون أن يعترف بالتزوير، وإرجاع العبارة إلى أصلها الحقيقى. وهذه الواقعة التى دمرت نظرية بأكملها، لم تتحدث عنها الصحافة بكلمة واحدة.

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٢، كتب مسئول وزارة الخارجية الألمانية رادماخير، في رسالة رسمية يقول: « لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى. وعلى ذلك، فقد

قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشـرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائى ».

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص-٧٩].

والمثال الثـانى على هذا التعبير التعسفـى لمعانى الكلمات لتبـرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بدايـة المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكِّر بأنـه قد تم تعيينه في «منصب المسئول المكلف بإعـداد الحل النهائى للمسألة اليهـودية في أوروبـا » وبأنــه « سيكـون من الآن فصـاعـدا المسئـول عن مجمـوع الإجراءات اللازمـة للحل النهائى للمسألة اليهوديـة دون اعتبار للحدود الجغرافية.

ويلخص هيدريش بعـد ذلك السياسـة المعاديـة لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتى:

أ- طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب- طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« أثناء الحل النهـائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبـة نحو الشرق لـلاستفـادة بهم في العمل. وسيتم التفـريـق بينهم بحسب الجنس. وسيـرحل اليهود القـادرون على العمل في طـوابيـر ضخمة إلى منـاطق

الأعمـال الكبرى لبنـاء الطرق، ولا شك أن عـددا كبيرا منهم سيمـوت بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ومن سيظل منهم علـى قيـد الحيـاة فـي نهـايـة المطـاف ، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغى معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعـى ، ينبغى اعتبار تحريرهم بمثـابة الخلية المـولـدة للتطـويـر اليهـودى الجـديـد. (كمـا تـوضحـه تجـارب التاريخ . . .) .

ويعد بروتوكـول وانسى بمثابة المحضر الحرفى للمـؤتمر الذى عقد في الفتـرة من ٢٠ ينايـر ١٩٤٢ ، واشتـرك فيه الـوزراء المهتمون إداريـا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ. ويتعلق الأمر بنص لـم ترد فيه أبدا عبارة غـرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى.

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورتـه التى نشرت في كتـاب السيد روبـرت كمبنر، فـلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيـع ، والحروف كتبت على آلة كاتبة عـادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال، فلا يوجد بها أي إشارة إلى غرف الغاز.

وفضلا عن ذلك ، فإن مؤتمـر وانسى المنعقد في ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، والذى ادعى طـوال أكثر من ثلث قرن أن قـرار « إبادة » يهود أوروبـا قد

اتخـذ أثناء انعقـاده، اختفى تمامـا من أدبيات أشـد أعداء المطـالبين بمراجعة التاريخ منذ عام ١٩٨٤ . فقـد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تـاريخهم حول هذه النقطة أثنـاء انعقاد مؤتمر شتـوجارت في مايو ١٩٨٤ .

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهـور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥ ، ص ـ ٦٧].

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكنديين الصادرة في ٣٠ يناير ١٩٩٢ ، أن تفسير وانسى كان « تفسيرا أحمق » .

وأشار أحـد المؤرخين المتشـددين وهو جـان كلود بـريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائى » للمشكلـة اليهودية و إنها لن تحل إلا بعد الحـرب، فإن « الملف البنى » لصيف عـام ١٩٤١ يشهد على ذلك. فقـد جـاء في الفقـرة المعنونـة « تعليمـات لحل المسألـة اليهـوديـة » ما يلى : « لا يجب أن تتخـذ أى إجـراءات بشأن المسألـة اليهـودية في الأراضـى المحتلة في الشـرق إلا بعـد الحرب، وستجـد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما » .

[المصدر: هنرى موزى، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩] .

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد ، في وضع ميئوس منـه، فالحلفـاء يدمرون مـراكز الإنتـاج الحربى بقصفهم

لها، ويحطمون طرق المواصلات. واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع. فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز ١٠٠٠٠ معتقل، و ١٠٠٠٠٠ عامل مدني، ١٠٠٠ سجين حرب بريطاني.

وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢، وجه هيملر تعليماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيها: «استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودي ... وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة».

وفي مايو ١٩٤٤، أمر هتلر باستخدام ٢٠٠٠٠٠ يهودي كعمال في البرنامج الإنشائي «جاجر» ومنظمة تودت. فصدر أمر في ١٨ نوفبر ١٩٤٣ . تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين - حتى اليهود منهم - الذين يبرزون في العمل.

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢، ص-٧٨].

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية. ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات «الإبادة».

ب-الشهادات

أثناء محاكمة أوشفيتز التي جرت في فرانكفورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هذا الإخراج القضائي

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها .

« كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التى توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة . فكان ينقصها جثث الضحايا ، وتقارير التشريح ، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة ، وكان ينقصها الآثار التى تركها المتهمون ، وسلاح الجريمة ، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة » .

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم] .

وسلاح الجريمة كان مع ذلك ، وطبقا للمدَّعين هى « غرف الغاز » ، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » ! .

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان وإلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم .

وحتى عام ١٧٥٧ ، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض . . وكانت هذه حقيقة ثابتة ! .

وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب ، يقول :

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضى عسكرى

للـولايـات المتحدة، وأستطيـع أن أشهد أنـه لم يكن هنـاك أى غـرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقـة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنـه محـرقـة لجثث المـوتى « ولم يكن هنـاك أى غـرف للغـاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنـه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لم نحصل على إذن من السلطات الـروسية التى كانت تشرف على هـذه المنطقة، لزيارتها. . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود قـد قتلوا. وأستطيع أن أأوكد بعـد ٦ سنوات على انتهـاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هنـاك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليـون لم يتم بلـوغه أبـدا، وأعتقـد أننى مؤهـل أكثر من غيـرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص ـ ١٥].

ونظرًا لانعـدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يـرقي إليها الشك، فإن محكمة نورمبـرج قد قامت على « شهادات » إن الفـارين الذين شهدوا على وجـود غرف الغاز قـاموا بـذلك ليس على أسـاس ما شـاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه.

والشـاهـد الرئيسى الـذي جيء بـه « لإثبـات » نظريـة المنتصـرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجـز الذى أدلى به عند إلقاء القبض عليـه، والذي قامت عليـه اعترافـاته في نـورمبرج، يستجيـب تمامـا لما كـانت تنتظره منـه

المحكمة .

وهاك اعترافه الذى أدلى به بعد حلف اليمين ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« توليت قيادة أوسفيتز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ ، وأعتقد أن ٢٥٠٠٠٠٠ ضحية قد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق ، وأن نصف مليون آخرين قد ماتوا من الجوع أو المرض ، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائى للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبا ، وقد تسلمت أمر إعداد الإبادة في أوشفيتز في يونيه ١٩٤١ . وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى : بلزيك ، وتربلينكا ، وولزيك » .

فكيف بالله تم تسجيل هذه « الشهادة الهامة » دون التحقق منها مسبقا؟

ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا : كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى .

وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى : « أثناء استجوابى الأول ، انتزعت الاعترافات منى بضربى . ولا أعرف ما فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه » .

ولم تتأكد عمليات التعذيب التى تعرض لها هيس للحصول على «أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عندما كتب روبرت بتلر كتابه عن « فيالق الموت » ، والذى جاء فيه : « لدى إلقاء القبض عليه ، ضرب ضربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له: قل لـه أن يوقف هـذا الضرب وإلا فإننا لن نحصل إلا على جثة هامدة!».

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسى وهو آخر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى توفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة.

وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه.

ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق.

والمثال الثانى: تقرير جرشتين، أحد ضباط النازى وهو التقرير الذي رفضت محكمة نورمبرج العسكرية الأخذ به كدليل في جلسة ٣٠ يناير ١٩٤٦ لعدم جديته وما جاء فيه من تضليل، والذى استخدمه جزئيًا النائب العام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١.

وطبقًا لهذا «الشاهد» فإن عدد الضحايا بلغ ٢٥ مليونيًا من الضحايا! (٦٠٠٠٠ يوميًا في المعسكرات الثلاثة بيلزيك وتريبلينكا وسوبيبور).

ورأى فضلا عن ذلك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ فى المتر المربع !)

والمثال الثالث: وكيما نتمسك بالشهود المشهورين، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى، الطبيب المجرى، الذى اعتقل في أوشفتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠ م، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م٢ أو ٤٠٠م٢ أو ٥٨٠ م٢، أى ٥,١ × ٢م أو ٩٠,٢م. وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤، كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤٠١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٣.

وفي أغسطس ١٩٦٠، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى: «لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال».

[المصدر: دى زيت، ١٩ اغسطس ١٩٦٠].

أمثلة أخــرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلى:

« أقـر بأن تـوقيعي يظهـر في هذه الـوثيقـة . وأطلب من المحكمـة السماح لـي بأن أشرح كيفيـة الحصول على هذا التـوقيع . لقد قُـدمت هذه الوثيقة إليّ في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر مـا إذا كان عليّ أن أوقعها . ولكن رفـض طلبي . . . ثم دخل أحد رجال البوليس البـولنديين أو الروس وقال: « أين أسـرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنـا ، أما الأسرة فستسلم فـي الأراضي الروسية» . وأنـا والد ١٠ أطفال، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة » .

●●●

ومن بين شهادات مجرمي الحرب ، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص . فقـد كان يدير الجماعات المكلفة بإعـدام المفوضين السيـاسيين في جنوب روسيـا ، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكريـة أنه قد تلقى أوامر شفوية لكي يضيف إلى وظـائفه وظيفـة إبادة اليهـود باستخـدام الشاحنـات المجهزة بمعـدات الموت، بما في ذلك النساء والأطفال . وجـاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا ، وتراجع عن تصريحاته السابقة ، واعترف بأنه قتل عـددًا من اليهود والغجـر ولكن في إطـار المعركـة ضد العـدو، وليس بمـوجب خطـة محددة لإبـادة اليهـود والغجـر، كما اعتـرف بأنـه قتل ٤٠٠٠٠ شخص وليس ٩٠٠٠٠ كما قال في السابق .

ولم ينبس المؤرخـون النقاد بكلمة واحـدة لدحض هـذه الأقاويل ، ولم تصـدر عنهم أيـة منـاقشة علميـة معـارضـة ، ولكن فـرض عليهم

الصمت والاضطهاد .

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهـذا القمع تجاه البحوث الانتقادية ، وتـواصل على العكـس تـدفق التمـويل الـوافـر والإشــادة الإعـلاميـة بـالمـدافعين عن هذه المحـرمـات ، فلن ينمحى الشك والأرتيـاب من ذاكرتي .

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا ، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتهـا ضـدى « ليكـرا » لأننى أدرجت حــرب لبنـان في إطـار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بـالمصاريف في محكمـة الـدرجة الأولـى وفي محكمة النقض . فقـد اضطـر نـاشر كتـابى « الشأن الإسرائيلى » الـذى صـدر عن دار نشـر بابيريس فى ١٩٨٣ ، إلى إعلان إفلاسه فورًا . كما لـم يجر توزيع كتابى « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريـس عام ١٩٨٦ ، تـوزيعًا عاديًـا . فالمكتبـات التى عرضتـه تلقت تهـديـدات بتحطيم واجهـاتهـا . وعـادت معظم النسخ إلى النـاشـر، واختفى تـوزيعـه تمامًـا . وحتى هـذا الكتـاب « الأسـاطير المـؤسسـة للسيـاسـة الإسـرائيليـة» فلن يسلـم من الحملـة المسعـورة للصحـافـة الفرنسية ، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا ، مع أن هـذا الكتاب قـد تـرجم ويجرى نشـره في إيطـاليا وألمـانيـا وتركيـا والولايات المتحدة وحتى روسيا .

فهـذا الصمت وهـذا الاضطهـاد ، وعمليـات القمع ضـد التـاريخ

الانتقادى للجرائم الهتلرية ترتكز على حجج مشينة وكاذبة ، وهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التي ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أى أكذوبة للكشف عن فظاعتها، وأن الحديث عنها انتقاديًّا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادى بمثابة تبرئة هتلر أو التخفيف من حدة جرائمه ! .

فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو « عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين !

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم على الصمت. ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغذيتها بالأكاذيب.

ونقد الشهادات المحققة تاريخيًّا والدراسات العلمية التى تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للحيلولة دون حدوثها غدًا، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى.

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة. وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التى

شوّهت بذكر الرقم التعسفى للضحايا اليهود في اوشفيتزا . وفي مقابل ذلك، ما شهدناه من الأفلام بعد التحرير التى تشيد بمن حاربوا ضد النازى، مثل « المعركة ضد الماء الثقيل » الذى يعالج الاكتشاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصولها إلى هتلر حتى لا تتاح له فرصة استخدامها في صنع القنبلة الذرية . ونفس الشىء بالنسبة لفيلم «معركة السكك الحديدية » الذى يوضح الكيفية التى خرّب بها عمال السكك الحديدية طرق المواصلات الألمانية لشل حركة تجميع الجيوش الألمانية الغازية . وعلى النقيض من هذه الأفلام، فكم من مرة أعادوا علينا كل أسبوع عرض أفلام مثل « الخروج »، و « الهولوكوست »، و « الإبادة »، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع !

وفيلم الهولوكوست هذا هو أكبر فيلم ساهم فى التلاعب بالرأى العام العالمي والسيطرة عليه، وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية ! .

[المصدر: ليبراسيون، ٧ مارس ١٩٧٩].

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل « أيام موتنا» لدايفيد روسيه، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال .

وحتى مارتن جراى، في كتابه « باسم كل أبناء جلدتى » والذى

استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدًا. وابتداء من المخفوظات المزيفة لوزارة قدماء المحاربين التى « اكتشفها » سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » !.

[المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس ١٩٨٢، ص - ١٩٢].

وذروة هذه الأدبيات الرومانسية ، هو كتاب « يوميات آن فرانك » الذى حقق أحسن المبيعات عالميًا، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات). وفى هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ .

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب : « لقد وافق والد آن فرانك أخيرًا والذى راسلته عدة سنوات ، على إخضاع أصول كتاب « اليوميات » للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما » .

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هو معمل البوليس الجنائى الألمانى في فيسبادن. وكانت النتيجة التى توصل إليها المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينزل الأسواق إلا في عام ١٩٥١ ، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥).

ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجى بشأن يوميات آن فرانك، هو الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها. وتولىٰ أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكر الاعتقال. وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات » لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد.

أما أنه وثيقة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شُوه وحُرّف ».

وهذه البضاعة الإبادية لا تستخدم إلا شهادات تشير بطرق مختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدًا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (والذى أثبت لوختر استحالة ذلك ماديًّا وكيميائيًّا) ، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التى استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة.

جـ- سلاح الجريمة :

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبير من الأسئلة، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الوثائق ». ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلـون ب ، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

ـ كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية ، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟

ـ هل كان مـن الممكن كما يـؤكـدون ، الدخـول دون كمـاة إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب ، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كـان من الممكن حرق الجثث بالكـامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

ـ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

ـ هل من الممكن حـرق جثث بشريـة في حفر عمقها عـدة أمتار، وفي حالة الإثبات ، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات .

ونطرح هنا مثالين اثنين :

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات .

● والآخر خاص بالصابون المصنـوع من الدهن البشرى . (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى) .

[المصدر : الديلى تلجراف ، لندن ، ٢٢ مارس ١٩٤٦ ، ص ـ ٥] .

وقد انتشرت قصـة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلـة » والمؤلفة من الشاحنـات التى أبيد فيها آلاف الناس بتـوجيه مخارج الديـزل نحو الداخل، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى، عندما صدرت في جريدة النيويورك تـايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣، الصفحـة السابعة. (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية).

وهنا أيضًـا ، فإن سلاح الجريمـة (وهو مئات أو آلاف الشـاحنات المجهزة لعمليـات القتل هذه) قـد اختفى. ولم تظهر واحـدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات.

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًّا مطلقا كمـا قـال هيس، فمن الغـريب أن يعلم بـه آلاف سائقى الشـاحنـات وأعوانهم الـذين تسلموا الضحايـا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطـريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع ».

وروج فيزنتال لخـرافة « الصابون البشرى » في مقالاتـه المنشورة عام ١٩٤٦ في جـريد الطـائفـة اليهوديـة النمسـاويـة درنيوفنج (الطـريق الجديد)، كتب يقول: لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابـون » لأول مرة في أواخر عـام ١٩٤٢. وقد تم هذا في الحكـومة العـامـة (لبولنـدا) وفي المصنع الـذى كـان كـائنـا في جليسى، في بلـزيك. ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مـايو ١٩٤٣، استخـدم ٩٠٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع». وأضـاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادهـا الأولية، استخدمت الباقيـا الدهنية لإنتاج الصـابون». ثم

قال : ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى بهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به ، هذا الصابون يحمل الحروف **RIF** وهو رمز على «مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية » وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه **RTF** ، أى « دهن يهودى صافى » وبعد ذلك انتشرت الإشاعة كالريح .

وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًا ، بوضع حد للجدل بشأن « غرف الغاز » وهى : « تقرير لوشتر » (٥ أبريل ١٩٨٨)، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠ ، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤)، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى ، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع ، مما يتيح التحليل الكيميائى .

والزيكلون ب ، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذى زعم أنه . . قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز. وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التى يخشى منها أن تنشر الأوبئة ، ولا سيما التيفوس ، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة ، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢٠ . ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض ، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبى ، وميسورى ، ونيفادا ، ونيومكسيكو، وكارولينا الشمالية .

[المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤) .

وقـد عمل المهنـدس لـوشتـر كخبيـر استشـارى لـولايـات ميسـورى وكاليفورنيا وكـارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيـرة اليوم عن هذا النمط من الإعـدام بسبب تكلفته البـاهظة ليس فحسب بـالنسبة لغـاز السيـانيدر، ولكن بـالنسبة أيضـا لمـواد تصنيعه وصيـانته التى تستلـزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام.

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات « غرف الغاز » المزعومة في أوشفيتز - بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية: « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغـرف للإعدام » وخلص لوشتر إلى أن أى من الشـروط لـم تستـوف للقـول بأنها غرف الغاز القـاتلة. وكان أى إنسـان يعمل فيها سيعرض نفســه للخطر، وبعد أن اسـتعرض جميـع المـواد الوثائقيــة وفحـص جميــع الأماكن فـي أوشـفيتز، وبـركيناو، ومــاجدانك، وجـد أن البراهيـن دامغة: فلم تـوجـد في أى من هـذه الأماكن غرف غاز قاتل ».

[المصدر: تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨].

وفي أثنـاء محاكمـة تـورنتـو، كشف المحامى كـريستى كم كـانت الشهادات « تتعارض مع حقيقـة الإمكانيات الكيميائيـة والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لـوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كـانت أهم بكثير في القاعات التى تأكـد أنها كانت مخصصـة للتطهير، عنهـا في القـاعات المـزعـوم أنهـا كانت « غـرف

للغاز».

[المصدر : المرجع السابق].

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًّا المعاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢٠ فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠.

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق « للتخلص من الجثث. وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات.

أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم ١٨٩ صورة أخذت من المعسكر نفسه في ذلك العهد، والذى قدم له سيرج كلاسفلد، تظهر ١٨٩ منظرًا للحياة في معسكرات الاعتقال لدى وصول قافلة من المعتقلين القادمين من المجر. وليس فيه أى شىء يثبت الإبادة الجماعية والمنظمة، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة.

[المصدر : ألبوم أوشفيتز، باريس، ١٩٨٣].

ويبدو أن الكندى جون بول، خبير تفسير الصور الجوية، هو الذى جمع أكبر قدر من المستندات التصويرية الأصلية وأجرى بكفاءة تحليلاً صارمًا لها. وجاءت استنتاجاته متعارضة تمامًا مع التاريخ

الرسمى.

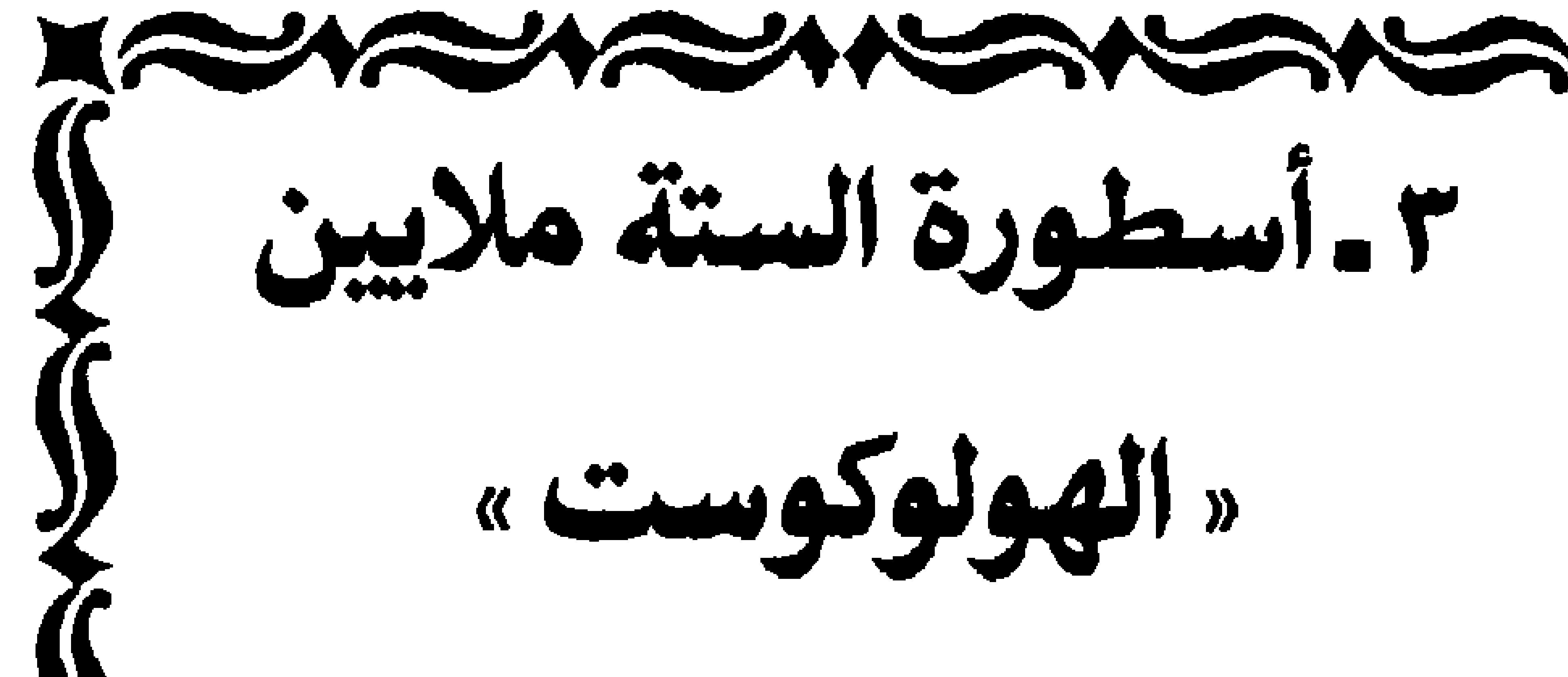
[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا ، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون « محارق أوشفيتز » الذى لا يخصص سوى فصل واحد من ٢٠ صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالما لم تجر بين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر ، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التى جرت في ١٩٩٠ بناء على طلب من سلطات متحف أوشفيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول « غرف الغاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة.

وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى، كانت هى الامتناع عن المناقشة، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد.

●●●



٣ ـ أسطورة الستة ملايين

« الهولوكوست »

« الإبـادة الجمـاعيـة: هى الإبـادة المنظّمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها».

قاموس لاروس

« وعلى غرار الوعد الإلهى الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هى عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجى لإنشاء دولة إسرائيل » توم سيجيف ، المليون السابع.

١٩٩٣ـ ص ٥٨٨.

عادة ما تستخدم عبارات ثلاث لتعريف المعاملة التى عانى منها اليهود على أيدى النازيين وهى : الإبادة الجماعية ، والهولوكوست والشُواه **SHOAH** .

ولعبارة « الإبادة الجماعية » معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض وجود جنس يهودى كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس . فلاروس على سبيل المثال يعطى هذ التعريف : « الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها » .

ولا ينطبق هذا التعريق حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان ، حيث جاء فى سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة مفتوحة « لم يبق بها شريد (أى إنسان حى) » . (العدد، ٢١ ـ ٣٥) .

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادات المقدسة » للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخرى الذى تحدث عنها سفر يشوع بأنها حدثت في عجلون وحبرون : « ولم يبق منهم باقيًا » (يشوع، ١٠ ـ ٣٧) أو في حاصور: «وأما الرجال فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أفنوهم ولم يبقوا نسمة» . (يشوع ، ١١ ـ ١٤) .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهـوديـة (وتعريفهـا « كنجس » ينتمى إلى القامـوس الهتلرى) قد حققت انطـلاقة هـائلة في العالم منـذ عام ١٩٤٥ .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهـداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصـريـة التى تقـوم على تفـوق الجنس الآرى ، وخلطـه المتعمـد والمنهجى بين اليهـود والشيوعيـة التى كـانت عدوه الـرئيسى (وهو مـا تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيـوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجنـاء السلاف أثنـاء الحرب) . وأطلق على هـذا الخلط عبارة «اليهودية البلشفية » .

وتوخى منـذ إنشاء حزبـه « القومى ـ الاشتـراكى » (النازى) ، ليس فحسب) استئصال الشيوعية ، بل وطـرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعـد أن يسيطر عليها . وحـدث هذا بطريقـة بعيدة كل البعـد عن الإنسـانيـة : أولا بـالتهجيـر ، ثم بـالنفى ، وأثنـاء الحـرب ، بـالحبس في معسكـرات الاعتقـال في ألمـانيا أولاً ، ثم بـالإبعـاد نحـو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة ، وخاصة في بولندا ، حيث هلك السـلاف واليهود والغجر بالأشغـال الشاقة في خدمـة الإنتاج الحـربى ، ثم بالأوبئة الفظيعـة للتيفوس التى تـدل كثرة المحارق على ضخامتها .

فمـاذا عن الحسـاب الختـامى لهـذا التعنت الهتلـرى ضـد هـؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين ؟

لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية. ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونـا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمـان. أما بولنـدا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا، وكذلك مـلايين الجنود من أفريقيا وآسيا، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم.

وعلى ذلك، فإن الهيمنـة الهتلـرية لم تكن، كمـا أشـاعت بعض ألـوان الدعـاية، حكـرًا على اليهود وحـدهـم، أو أنهم كانـوا الضحايـا الرئيسيين. فقـد كانت كارثة بشـرية لا مثيل لها للأسف الشـديد، لأن هتلر طبق على البيض مـا طبقه الاستعمـاريون الأوروبيون منـذ خمسة قرون، على الملـونين، ابتداء من هنـود أمريكـا، الذى استئصل منهم ٦٠ مليونًـا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغـال الشاقة كـذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلـى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين، بعـد أن مات منهم ١٠٠ إلـى ٢٠٠ مليون خـلال فتـرة الرق واصطيـاد العبيد السود.

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميـع: فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بـالنسبة للاستعماريين الغربيين، إنزالاً للستـار على جـرائمهم (قتل الهنـود في أمـريكـا، والـرقيق السـود)، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التى قام بها.

[المصـدر: بول مـارى دى لاجورس، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ حرب غيـر معروفـة، باريس ١٩٩٥، ص ـ ٥٣٥].

وكانت الغـايات من ذلك غايات سيـاسية وليست غايات حـربية.

فقد كتب تشرشل ابتـداء من ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالميـة الثانية (المجلـد الرابع): مـن الخطأ الافتراض بأن مصيـر اليـابـان قد تقـرر بواسطة القنبلة الذرية ».

ويؤكـد الأميرال الأمـريكى وليم ليهى في كتابـه « كنت هناك » على هـذا قائلا: في رأيى أن استخـدام هذا السـلاح البربـرى في هيروشيمـا ونجازاكى لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان ».

والواقع أن الإمبراطـور هيروهيتو كان قد بدأ المفـاوضات للاستسلام فى ٢١ مايـو ١٩٤٥ ، مع الاتحاد السوفيتى (الذى لم يكن قـد دخل الحـرب مع اليابـان بعد) ، وذلك بـواسطـة وزيره للخـارجية والسفيـر السوفيتى مالك.

[المصدر: المرجع السابق ، ص - ٥٣٢].

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين.

وعلى هذا فقـد كان الهـدف سياسيـا لا حربيـا ، كما صـرح بذلك الوزير الأمريكـى للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابـل الذرية كان هـدفه « طـرح اليـابان أرضًـا » قبل دخـول روسيا الحـرب ». ويلخص الأميرال الأمريكي ليهى في كتـابه السابق: « باستخدامنا القنبلـة الذرية كأول من استخـدمهـا ، فإننـا قـد هبطنـا إلى مستـوى بـرابـرة العصـور الوسطى».

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمي حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية »، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرًا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسى، « من العصر الحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها »، وبعد أن برر « الإبادات الجماعية المقدسة » ليشوع فى غزوه لكنعان، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين. . لأننا قد أبدنا . . . آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص ـ ٢٠٥).

وعبارة « هولوكوست » المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل : « الليل » (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن « لاروس العالمى »(باريس ١٩٦٩ ، ص ـ ٧٧٢) يعرف الهولوكوست كالآتى : « قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا ».

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرًا لطابعه القربانى الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحى، مفتتحًا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست».

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى صار إبادة.

ومع هذا فلم يتسن تقديم أى نص يثبت أن « الحل النهائى » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة.

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهودية ـ البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التى أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان.

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحركيين في الثروة البلشفية (تروتسكى، وزينوفييف، كامنيف، . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالاً للشعب الألمانى.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية، والذى ظهر إبان سطوته على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس). وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف.

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيتية للسامية». فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية «المفوضين السياسين » للمشايعين الذين تكلفت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم.

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم.

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى:

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالـوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقـاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية) .

● والخطوة الثـانية كانت الإبعاد بـلا شرط متابعـة للمخطط الرامى إلى إرسـالهم جميعاً إلـى جيتو عـالمى، وهـو جزيـرة مـدغشقر بعـد استسلام فـرنسا . وجـرى التخلى عن هذا المشـروع لضخامـة العملية وصعوبتها في زمن الحرب .

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا ، ولا سيمـا بولندا ، والذى أمكن التوصـل إليه بفضل « الحل النهـائى » وهو تفريـغ أوروبا من يهـودها ، بنقلهم بشكل مكثّف إلى معسكرات خارجية ، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب ، بمـا فى ذلك التجويع والسير الإجبارى ، والمميت للضعفاء ، والأشغـال الشاقـة في ظـروف لا إنسانيـة لخدمـة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتـز ـ بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائيـة) . وأخيرًا الأوبئة ، وخاصة التيفوس ؛ التى اجتاحت المعتقلين المنهكين .

فهل من الـلازم اللجـوء إلى أسـاليب أخرى لشـرح المـوت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعـاملة ، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة ، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟ .

● وكذلك استبـدال اللوحة التـذكارية بمعسكـر بيركيناو ــ أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .

● تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا .

● أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦٠ وليس ٣٠٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .

[المصدر : لموند ، ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، ص ـ ٧] .

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة . فقتل إنسان برىء واحد سواء أكان يهوديًا أو لم يكن، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز ـ بيركيناو وحده :

● ٩ ملايين وفقًا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه « الليل والضباب »، الذى أخرجه عام ١٩٥٥ ، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.

● ٨ ملايين وفقًا « لوثائق خدمة تاريخ الحرب » ـ معسكرات

الاعتقال، الذى أصدره المكتب الفرنسى للنشر عام ١٩٤٥، الصفحة ٧.

● ٤ ملايين طبقًا للتقرير السوفيتى الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقًا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى: « تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى » ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن « هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها ».

● ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص ـ ٤٩٨.

● مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى راءول هيلبرج، « تدمير يهود أوروبا »، الصادر عام ١٩٨٥، ص ـ ٨٩٥.

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايا أوشفيتز »، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ١,٢ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر : لموند، ٢٣ يوليه ١٩٩٠].

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى.

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

● مليون ونصف طبقا للوسى داودوفيتش في كتاب « الحرب ضد اليهود» ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .

● ٣٠٠٠٠٠ حسب لياروش و إبرهارد، ١٩٩١ ، ص - ٢١٧ .

● ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى . ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود ، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ » .

ونفس هذه المغالطات المريبة بشأن أساليب قتل اليهود، قد تثير الشك أيضًا :

● فالنيويورك تايمز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودى يوميًا .

● وفى ديسمبر ١٩٤٥ ، أدخل ستيفان زيند اليهود في حوض سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائى ذو ضغط عالٍ لصعقهم ، ويضيف : « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت » .

● وثيقة نورمبرج رقم ٣٣١١ المؤرخة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ ، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق » .

● وبعد شهرين ونصف ، استبدلت نفس هذه المحكمة غرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.

●●●

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود « غرفة غاز » واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا!.

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتين بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أو بريجن ـ بيلسن، أو بوشنفالد.. ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢... وقبل كل شيء في الأراضى البولندية المحتلة ».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا

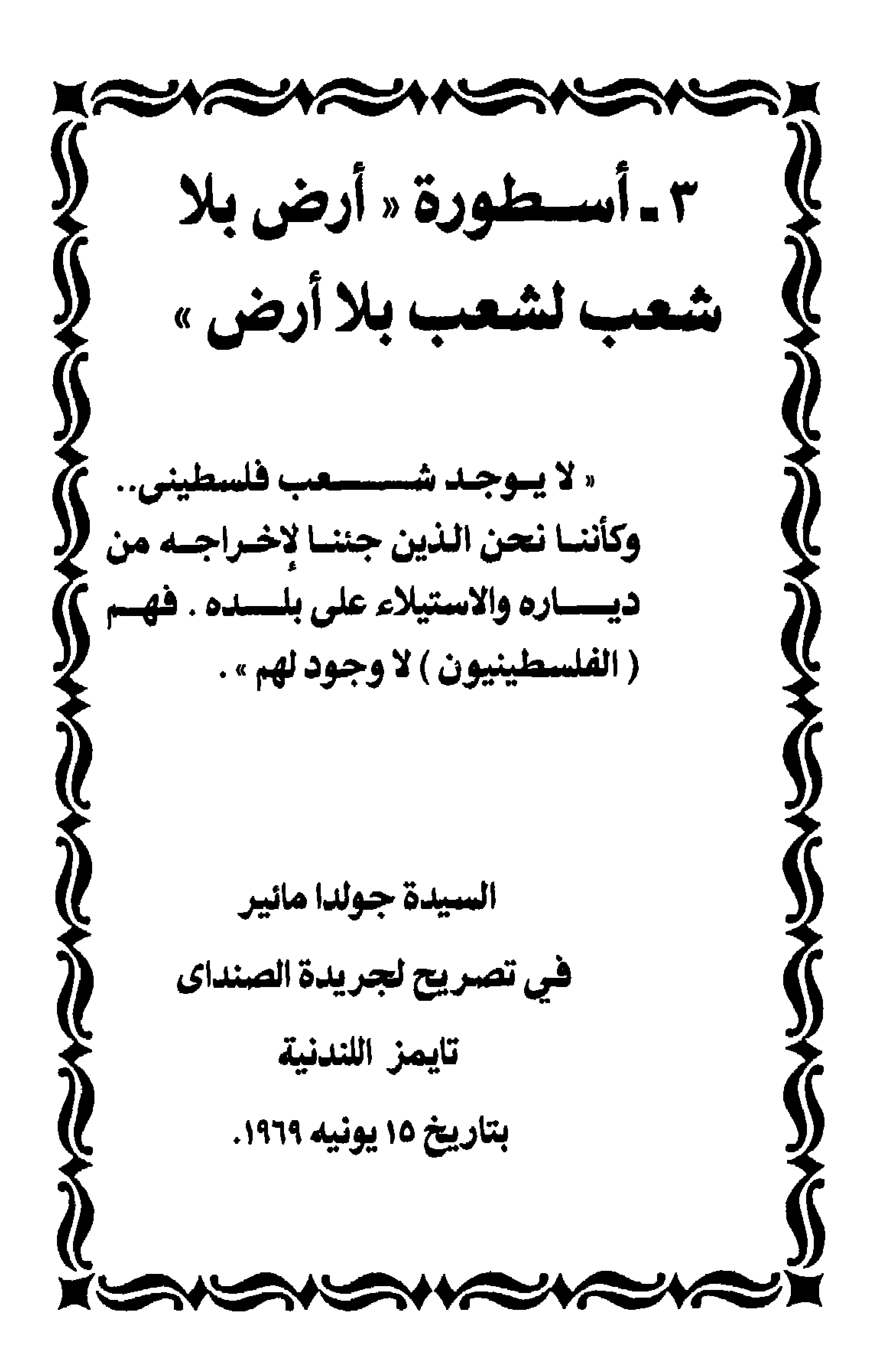
إنسـانية خلّفت آلاف الجثث في الطـريق، وسوء التغـذية، والأوبئـة ، فهل تحتـاج هـذه المأساة إلى تضخيـم للدلالـة على قتل اليهـود على أيدى النازى؟

وهل الحـاجة تدعـو والحالـة هذه إلى الإبقـاء بأى ثمن على هـالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟ .

ورغم وجود خلط لدى الناس مـن ذوى النيات الطيبة بين «محارق المـوتى » و « غرف الغـاز »، ووجود عـدد هـام من هذه المحـارق في المعسكرات الهتلريـة لوقف انتشار وباء التيفـوس، فإن هذه المحارق ليست بـالحجة الكـافية، فهذه المحـارق موجـودة في المـدن الكبرى كباريس (بيـرلاشيز) ولندن وفي كل العـواصم الهامة، وحـرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبـادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقـامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنـار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيـات المبدئية لإثبات وجـودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها .

وقد خدع الإخراج الذى أحـاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كـانوا يقتـادون إلى هناك لتلقينهم عقيـدة الهولـوكوست ، نـاهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين ! .

وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نـورمبرج، بوصفهـا من أماكن الإبـادة الجماعيـة، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.



٣ ـ أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد شعب فلسطيني.. وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده . فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم » .

السيدة جولدا مائير

في تصريح لجريدة الصنداي

تايمز اللندنية

بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.

ترتكز الأيديولوجية الصهيونيـة على فرضية واهية وجد بسيطة هى أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢١) . ما يلى :

« في ذلك اليوم بتّ الـرب مع « أبرام » عهـدًا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

وانطلاقًا من ذلك ، ودون التساؤل عن مـاهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشـروط ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدرين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب .

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتـدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ ٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذى لا يؤمنون به .

ولا تمـارس الغالبيـة العظمى للإسـرائيليين الحاليين الطقـوس ولا العقيدة الـدينية ، ولا تضم مختلف « الأحزاب الـدينية » التى تلعب مع ذلك دورًا حـاسمًـا في دولـة إسرائيـل ، سوى أقليـة ضعيفـة جـدًّا من المواطنين .

وشـرح ناثـان وينستوك هـذا التنـاقض في كتابـه « الصهيـونية ضـد إسـرائيل » قـائلاً : لو ألغينـا مفـاهيم « الشعب المختـار » و « الأرض الموعودة» لانهارت الصهيونية من أساسها » .

[المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥] .

« إن هذا البلد وجد كوفاء لـوعد أخذه الرب على نفسه . ومن المثير

للسخرية محاسبته على شـرعيته . وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير » .

[المصدر : لموند ، ١٥ أكتوبر ١٩٧١].

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها » . كما يقول بيجين .

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨] .

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقـة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهـم والاستيلاء على أراضيهم عنـدما قـال بوضـوح : « إن الأمر لا يتعلق بالحفـاظ على الوضع الراهن ، فأمـامنا مهمة إنشاء دولـة نشيطة وديناميه موجهة نحو التوسع » .

وتتطـابق الممارسـة السيـاسية مع النظـرية الغـربيـة التى مفادهـا : الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع ، خليفة موسى .

وقد أعلن مناحم بيجين ، وهو أشدهـم إيمانًـا بالتقاليد التوراتية : أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل ، كلها وللأبد » .

[المصدر : مناحم بيجين ، العصيان ، قصة الأرجون، ص ـ ٣٣٥] .

وهكـذا ومنذا البـداية ، تضع دولـة إسـرائيل نفسها فـوق كل قانـون دولى .

ولمـا فـرضت إسـرائيل على منظمـة الأمم المتحـدة في ١١ مـايـو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحـدة ، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثـلاثة شروط هى :

١ ـ عدم المساس بوضع مدينة القدس.

٢ ـ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.

٣ ـ احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم.

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة: « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن ».

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا: إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا.

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة»، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان، ولا يملكون سوى ٦,٥ ٪ من الأرض، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ ٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة. ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة. فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية. وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز: بأمر مباشر من البيت الأبيض، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة.. لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى ».

[المصدر سومنرويلز، « علينا ألا نخفق »، بوسطون، ١٩٤٨، ص ـ ٦٣].

ويؤكد جيمس فورستال، وزير الدفاع آنذاك ، أن : « الأساليب المستخدمة للضغط ، ولإكراه الدول الأخرى في الأمم المتحدة، أَشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة» .

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١، ص-٣٦٣].

وقد تم أيضا تعبئة قوى الاحتكارات الخاصة لهذا الغرض . ومع ذلك، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨ .

فكلما احتج العرب على هذا الظلم ورفضه، تمادى الزعماء الإسرائيليون في استغلال ذلك للاستيلاء على أراضٍ جديدة، لا سيما يافا وعكا، بحيث سيطر الصهاينة في ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد، وطُرد ٠٠٠ , ٧٧٠ فلسطيني منها .

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف .

والمثل الصارخ على ذلك هو دير ياسين . ففي التاسع من أبريل ١٩٤٨ ، بطريقة مماثلة لطريقة النازى في أورادور، قتل أهالى هذه القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين .

ويقول مناحم بيجين إنه بدون « الانتصار » في دير ياسين، ما قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين » .

وقد اعتبر «غائبا» كل فلسطيني غادر منزله قبل أول أغسطس ١٩٤٨ . وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضى المملوكة للعرب (٧٠٠٠٠ هكتار من ١١٠٠٠٠). وعندما صدر في عام ١٩٥٣ ، قانون حيازة العقارات، حدد التعويض حسب قيمة الأراضى في عام ١٩٥٠ ، مع أن الجنيه الإسرائيلى كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات .

وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت، الذى وصف في تقريره الأول السلب الصهيونى على النطاق الواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة .

وقدم هذا التقرير في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنادوت ومساعده الفرنسى الكولونيل سيرو، في الجزء الذى يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هذه أول جريمة صهيونية ضد من يتجاسر على فضح تضليلهم وغشهم .

فقد أعلن اللورد موين، الوزير المفوض البريطانى في القاهرة، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء، وأنهم لا يملكون المطالبة الشرعية بالأراضى المقدسة . وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤ ، اغتيل اللورد موين في القاهرة على يد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير) .

كما حلت دولة إسرائيل محل المستعمرين القدماء وبنفس الأساليب في الزراعة وغيرها، وبذلك تواصل النظام الاستعمارى

وتفاقم. ويعترف الدكتور روزنفيلد في كتابه «العمال العرب المهاجرون» الذى نشرته الجامعة العبرية في ١٩٧٠ ، بأن الزراعة العربية كانت أكثر ازدهارًا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم.

وظهر التمييز العنصرى كذلك في إطار سياسة الإسكان. فقد ذكر إسرائيل شاحاك، الأستاذ بنفس هذه الجامعة العبرية في كتابه : «عنصرية دولة إسرائيل » (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل ، ونزارت، وإليت، وهتزور وأراد وميتزفين - رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود.

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم.

ونحن هنا في صميم المنطق الصارم للنظام الصهيونى وهو كيفية خلق أغلبية يهودية في بلد تسكنه طائفة عربية فلسطينية من السكان الأصليين؟

وطرحت السياسة الصهيونية الحل الوحيد المنبثق عن برنامجها الاستعمارى الاستيطانى: إنشاء مستعمرة إسكان بطرد الفلسطينيين، ودفع عجلة الهجرة اليهودية.

وقد كان طرد الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملية متعمدة ومنظمة. فالصهاينة أيام وعد بلفور في ١٩١٧ ، كان لا يملكون سوى ٥ , ٢ ٪ من الأراضى، ولدى صدور قرار « تقسيم » فلسطين، ٥ , ٦ ٪ أما في عام ١٩٨٢ ، فإنهم كانوا يملكون ٩٣ ٪ من الأراضى !.

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضى من سكانها الأصليين، هى نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية .

وقد اتخذت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكى، أى استغلال اليد العاملة المحلية . وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذى كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون .

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥ ، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥ . فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نوعًا غريبًا من « الاشتراكية الصهيونية » . حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية . ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطينى بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض .

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هى إنشاء « الصندوق القومى اليهودى » في عام ١٩٠١ ، الذى كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التى تقع في حـوزتـه لا يمكن إعـادة بيعهـا ولا تأجيـرهـا لغيـر اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل ».

وثمة إجـراء آخر وهـو استخدام « قـوانين الطوارىء » التى أصـدرها الإنـجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القـانونى اليهودى برنـارد جوزيف ضد هذا التشـريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضـة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسـرائيل. وفيما يتعلق بهـذه القوانين كذلـك، فإن جوزيف شبيـرا أعلن فى مظـاهـرة احتجـاج فـي شـوارع تل أبيب في ٧ فبـرايـر ١٩٤٦، أن هذا التشريع لا مثيـل له في البلدان المتمدينة، ولـم توجد حتى في ألمـانيا النازيـة قوانين ممـاثلة ». ونفس هـذا الشخص الذى أصبح نائبًا عـاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسـرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالـة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيـريز في صحيفة دافـار بتاريخ ٢٥ ينايـر ١٩٧٢ ما يلى: « إن استخدام القـانون ١٢٥ (وهو قـانون الطوارئ) الـذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أبـاح لوزير الزراعة دون التذرع بـالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قـامت به

القوى الصهيونية من تفريغ للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨ ، ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، قد « حرر » أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب ، وأعطيت للمحتلين اليهود .

ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة « بلاد صحراء » ، دُمّرت القرى العربية وهُدِّمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها . وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى « صحراء »، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها» .

[المصدر : إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٢ وما بعدها] .

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية وهى تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هى الآتى : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطينى، أصبحت «الأرض اليهودية » كما يقول العاملون في «الصندوق القومى اليهودى »، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت ٦,٥٪ عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب، أما

الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أى تمييـز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود ! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالـوعد » . وهذا من حسن الحـظ ، لأن اليهود قد لعبـوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالـم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون ، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغـرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى .

فقـد كان هنـاك ٢٥٠٠٠ يهـودى عـام ١٨٨٠ في فلسطين من بين ٥٠٠٠٠٠ نسمة من السكان .

وابتداء مـن عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجـرات الكبرى عقـب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عـــام ١٨٨٢ وحتى عـام ١٩١٧ ، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطيـن . ثـم جاء المهاجـرون البولنـديون ويهـود المغرب هربًا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن .

ولكن أهم مجموعـة ضخمة كـانت المجموعة القـادمة من ألمـانيا بسبب معـاداة هتلـر للسـاميـة ، فـوصل نحـو ٤٠٠٠٠٠ يهـودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٧ ، وعشية إنشاء دولة إسرائيل ، كان هناك ٦٠٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين . فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل . وفي ١٩٤٩ ، لم يتبق سوى ١٦٠٠٠٠ . وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ . وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل ، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ ، دُمّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية .

وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٧٥٧٠٠٠ نسمة في فلسطين ، منهم ٦٦٣٠٠ من العرب (٥٩٠٠٠٠ من العرب المسلمين ، و ٧٣٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى : ٨٨٪ من العرب و ١١٪ من اليهود) . والجدير بالذكر أن هذه « الصحراء » المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٣٠٠٠٠ طن من القمح سنويا ، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ ، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت سبعة مرات ، فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشرة مرات فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨ .

وجـاء في تقريـر بيل الذي قـدم إلى البرلمـان البريطـانى في يوليـه ١٩٣٧ ، بشأن صـادرات الدول من سـلال البرتقـال الشتوى، جـاء ما يلى :

فلسطين : ١٥ مليون سلة .

الولايات المتحدة : ٧ ملايين سلة .

إسبانيا : ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص، مصر ، الجزائر، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر: تقرير بيل، ص ٢١٤].

وكتبت صحيفـة اديعوت أحرونـوت اليوميـة ، ذات أكبر تـوزيع في إسرائيل تقول :

« منذ السبعينـات ، لـم يحدث مثل هـذا التسريع بالإنشـاء والتشييد في الأراضى (المحتلـة) فـاريل شـارون مشغول بـإنشاء مستـوطنـات جـديدة، وتطـويـر المستـوطنات المـوجـودة، وبنـاء الطرق وإعـداد مساحات جديدة للبناء » .

ومن الـوهم الاعتقاد في أى « استقـلال ذاتى » حقيقى للفسلطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهوديـة في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!) .

إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هى انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ ، والتى تنص المادة ٤٩ منها على ما يلى : « لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى تحتلها » .

وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى ، فهو لم يُسكِّن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين .

وحجة « الأمن » و « إرهاب » الانتفاضة ، هى حجج واهية ، والأرقام تتحدث عن نفسها في هذا الصدد : فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين .

والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحى ، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا .

وحسب المنظمات الإنسانية ، اعتقل ١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلى . وتوفى ١٢ فلسطينيًا في السجون الإسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف

غامضة . وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢٠ ألف فلسطينى على الأقل أثناء الاستجوابات .

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانـون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانـون الدولى الذى يعتبـر بالنسبـة لها مجرد « قصـاصة ورق » لا قيمـة لهـا ، أو كمـا يقـول « الأستـاذ إســرائيل شـاحـاك » : «لأن هـذه المستـوطنـات ، بطبيعتهـا ، تنـدرج ضمن نسق متكـامل ، من النهب والسلب ، والتفرقة والفصل العنصرى » .

[المصدر: المرجع السابق ، ص- ٢٦٣].

●●●



ثالثًا
الاستخدام السياسى للأسطورة

١ ـ اللوبى فى الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده » .

بول فندلي «يتجرؤن علي الكلام» ؛ ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

ــ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام. وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد .

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل ، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط .

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون ، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسى .

وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) .

ولقد كانت قـوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشـدها بالفعل عام ١٩٤٢ ، بحيث قرر الاتفـاق الذى أبرم فى فندق بلتيمـور بنيويورك أنـه ينبغي الانتقال من فكـرة « وطن يهـودى في فلسطين» (وهو الـذى وعـد به بلفـور) ، إلى إنشـاء دولة يهـوديـة ذات سيادة . وهنـا تكمن الازدواجية التى عـرفت بها الصهيونيـة طوال تـاريخها . فالجميع كـانوا يتحدثـون عن «وطن » كما لو كـان الأمر يتعلق بمقـر روحى أو ثقافى ، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولـة » ، كهرتزل نفسه . وإلى هذا أشـار الجنـرال سمطس ، عضـو حكومـة الحـرب ، عنـدمـا أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥ : « خلال الأجيال القادمة ، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) » .

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : « بينما ويزمان يقول شيئا ، وأنت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قـومي يهودى » ، فإنه يرمى إلى شيء آخـر مختلف تمـامـا ، إنـه يتطلع إلى دولـة يهـوديـة ، وإلى إخضاع السكـان العرب لحكم اليهود . إنـه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار ، وبحماية الضمان البريطانى » .

وقد شرح ويزمـان بوضوح للحكومة البريطانيـة أن هدف الصهيونية هو إنشـاء « دولة يهودية » (بهـا أربعة أو خمسة ملايين يهـودى) . وقد أعطاه لـويد جورج وبلفور التأكيـدات على أنه باستخـدام عبارة « وطن قومى » فى إعلان بلفور ، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية » .

وفي ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أعلن بن جوريون في تل أبيب استقلال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل » .

وحول الاختلاف في الرأى بين بن جوريون الذى كان يرى أنه من الواجب على كل يهودى في العالم القدوم للعيش في هذه الدولة ، وبين المنادين بأن نشاط اليهود في الولايات المتحدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولم يستقر في إسرائيل سوى ٥٤٠٠ يهودى من بين ٣٥٠٠٠ أمريكى أو كندى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصدر : ملفين روفيسكى ، اليهودية الأمريكية وإسرائيل ، نيويورك ، ١٩٧٨ ، ص ـ ٢٦٥] .

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى .

وعن قوة اللوبى الصهيونى « والصوت الانتخابى اليهودى » صرح الرئيس ترومان نفسه أمام مجموعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦ : « آسف أيها السادة ، ولكن علىّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الذين ينتظرون فوز الصهيونية ، وليس لدى آلاف العرب من بين ناخبي» .

[المصدر : وليم إيدى ، روزفلت وابن سعود ، نيويورك ، ١٩٥٤ ، ص ـ ٣١] .

ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله :

« إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابى اليهودى ، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى» .

وقد أوقف أيزينهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس .

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة . ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّن له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم . . وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطى ، وحصل على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود ، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود ، عين كلوتزنيك ، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا ، مستشاراً له » .

[المصدر : ملفين روفيسكى ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥] .

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١ ، قال له كنيدى : « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين . وأنا أدين لهم بانتخابى . وقل لى ماذا علىّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودى » .

[المصدر: ادوارد تيفانان : اللوبى ، ص ٥٦] .

وبعد كنيدى ، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين : « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه . . إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض » .

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١ ، ص ٦٦] .

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ ، وبكل قوة . ومنذ ذلك التاريخ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية . « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل » .

[المصدر: شالوموا فنيرى ، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١ ، ص ـ ٢١٩] .

وفى نوفمبر ١٩٨٧ ، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب ، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل .

وحذا البرلمان الأمريكى حذوه . ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك » ، وسلّم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها . وبناء على ذلك ، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام .

وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩ ،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية » وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل .

[المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥ ، ص- ١٨٥].

وسلم نيكسون لإسرائيل ٤٥ طائرة فانتوم إضافية إلى جانب ٨٠مقاتلة سكاى هوك .

وتوفى عبد الناصر فى ٨ سبتمر ١٩٧٠ ، عرض السادات السلام مع إسرائيل. ورفض موشى ديّان، وزير الدفاع ، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان .

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، شن السادات الحرب التى سميت باسم «يوم كيبور » (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤ ، وكذلك موشى ديان .

ورغم ذلك، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل : ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس .

[المصدر: نيف ، محاربو القدس ، ص-٢١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية .

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم.

أما مسيرة جيمى كارتر فكانت موضوعة: ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء، أعلن:

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم. ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم» . وختم يقول : إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقى » .

[المصدر : التايم، ٢١ يونية ١٩٧٦] .

وفي نوفمبر ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه، فانس وبريجينيسكى، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة: حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة » .

[المصدر : شتيرن ، نيويورك، ٢٤ إبريل ١٩٧٨] .

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًّا في اللوبى منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط» .

وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له .

وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فانس هذه المقابلة وقال: لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية » .

[المصدر: اللوبى، ١٩٨٧، ص-١٢٣].

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨)(حيث عقد السادات سلامًا منفردا مع إسرائيل، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا، الأراضى التوراتية حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية .

[المصدر: ستيفان إسحاق، اليهود والسياسة الأمريكية، ١٩٧٤، ص- ١٢٢].

وكان كارتر في عام ١٩٦٨ ، قد حصل على ٦٨٪ من أصوات اليهود ، وفي عام ١٩٨٠ لم يحصل إلا على ٤٥ ٪ فقط، لأنه باع طائرات ف ١٥ لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل. ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨٠ الذي أفرد وعلى العكس منه ٦٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية لإسرائيل. وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية، التى بناها الفرنسيون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : « لن يكون هناك هو لوكوت آخر أبدا » . وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، ضم بيجين الجولان . واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢ ، فثار بيجين وقال : هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ » .

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان . وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان .

[المصدر : زيف شيف ، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤] .

وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام . ولكن مذابح صبرا وشاتيلا ، تحت سمع وبصر شارون وإيتان ، والصور التى عرضها التليفزيون ، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت . وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج ، وعدد كبير من الحاخامات ، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢ . واتهم بيجين الحاخام شندلر ، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكى أكثر منه يهودى » ، واتهمه بعضهم بأنه عميل .

وبهذه المناسبة ساند المسيحيـون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيل ، وتسلم رئيسهم جيرى فالـول ، أعلى الأوسمـة الصهيـونية وهى جـائزة جابـوتينسكى على ما أداه من خدمـات لإسرائيل ، بالإضـافة إلى ١٠٠ مليـون دولار من الـدولـة الإسرائيلـة و : ١٤ مليـون دولار من مـؤسسـة سواجيرت .

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦] .

وبهذا أصبحت القوة المـالية ، وبالتالى السياسية في عـالـم يباع فيه كل شيء ويشترى ، هى القوة الحاسمة والفاصلة .

ومنـذ عام ١٩٤٨ ، ٠ قدمت الولايـات المتحدة لإسـرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية .

[المصدر : مجلة التايم ، يونيه ١٩٩٤] .

●●●

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليـون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في :

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية .

٢ ـ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة .

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات» .

بـدأوا في وضع تصـور لسياستهم الخـارجيـة قائمـة على تطلعـات طموحة لإنشاء « إسرائيل الكبرى »

والشـاهـد على ذلك، المقـال الـذى نشـرتـه مجلـة « كيفـونيم » (التوجهـات) التى تصدرها في القـدس المنظمة الصهيونية العـالمية، وعنوانه: الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات ».

« إن مصر بوصفها جسـدًا مركزيًّا، فإن هذا الجسـد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين. كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافيـة منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات، على الجبهة الغربية.

فإذا مـا تفككت مصر وحـرمت من السلطة المـركزيـة، فإن بلدانـا أخرى مثـل ليبيا والسودان وغيـرهما مـن البلدان الأبعد، ستعـرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيـد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تـاريخى تأخـر اليوم بسبب اتفاق الســلام، ولكن لابد منـه على المدى الطويل.

ورغـم المظاهـر، فإن الجبهة الغـربية تمثل مشاكل أقـل من مشاكل الشرق. ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالـم العـربى بأسره. وتفكك سـوريا والعراق إلى منـاطق محددة على أسـاس المعاييـر العرقيـة أو الدينيـة ينبغى أن يكون على المـدى

الطويـل هدفا ذا أولـوية لإسـرائيل، على أن تكون الخطـوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.

فالهيـاكل العرقيـة في سوريـا تعرضهـا للتفكك الذى قـد يؤدى إلى إنشاء دولـة شيعية على طول انسـاحل، ودولة سنيـة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغـب فى تشكيل دولته الخاصة به ــ وربمـا فـوق هضبـة الجـولان ــ وعلى أى حـال مع حـوران وشمـال الأردن . . . ومثل هـذه الدولـة ستصبح على المدى الطـويل، ضمانـا للأمن والسلام في المنطقة. وهو هدف في متناول يدنا بالفعل.

والعـراق الغنى بالبتـرول، والمـرتع للمنازعـات الـداخلية هـو خط التسـديـد الإسرئيلـى. وتفكيكه سيكـون بـالنسبـة لنـا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل».

[المصدر : كيفونيم، فبراير ١٩٨٢، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩].

ورد النص الكـامل باللغـة العبريـة وتـرجمته الفـرنسية في كتـاب: فلسطين: أرض الـرسالات السماويـة، باريـس، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧).

وعندمـا تصبح أهداف خطـة كيفونيـم بعيدة التحقيق، والمجـابهة محفوفـة بالمخـاطر، فإن اللـوبى الإسرائيلى كان ينجح دائمًـا في دفع الولايـات المتحدة إلى القيام بـالعملية. والحرب ضـد العراق هى مثل صارخ على ذلك.

فقد قـامت مجموعتـان من مجموعـات الضغط إلى دفع الـولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان :

١ ـ اللـوبى اليهودى ، لأن القضاء على صدام حسين سيـزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبى رجـال الأعمال ، الذى كان يعتقـد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى . .

[المصدر : آلان بيرفيت، بيرفيت، الفيجارو، ٥ نوفبر ١٩٩٠] .

وكـان الـزعمـاء الصهـاينـة لا يخفـون الـدور الـذى يلعبـه اللـوبى ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم .

ولكن الخلط بين اليهـوديـة كدين محتـرم كغيـره ، وبين الصهيونيـة السياسيـة التى تفترض الولاء غيـر المشروط لدولـة إسرائيل التى حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغـذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيلية .

« منذ عقـود ، يحاول اليهود الأمـريكان جـاهدين إقناع الـرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة . ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك ، فالولاء المزدوج قد اتضح » .

[المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر ١٩٨٥] .

والأمثلة على أن اللـوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض مـوقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التى جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة :

كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى، السناتور فولبريت، قد قرر مثول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C . B. S فى أكتوبر ١٩٧٣، قائلا: « إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرح ومجلس الشيوخ »، وأضاف: « إن زملاءنافى مجلس الشيوخ وبنسبة ٧٠ ٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبى وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مباديء الحرية والقانون ».

وفى الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنذ ذلك التاريخ، زاد اللوبى من سيطرته على السياسة الأمريكية. وقد وصف بول فندلى اللوبىَ الصهيونى وقوته وهذا « الفرع الحقيقى للحكومة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون (وزارة الدفاع)، وكذلك في وسائل الإعلام، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس ».

وحدث أن ألغى مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية

٩٨٪، كل تحـديد للمبـادلات بين إسـرائيل والـولايات المتحـدة رغم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيـه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحـرية الإسرائيليان البـاخرة الأمـريكية « ليبـرتى » ، وقتل في هذه العمليـة ٣٤ بحارًا وجـرح ١٧١ ، واعتـذرت الحكومـة الإسرائيليـة عن هـذا الحادث وحفظت القضيـة . وثبت بعد ذلك أن هـذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كـان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجـولان . ويفسر الأميرال توماس مـورر سر التغطيـة على هذه الجـريمة قـائلا : كان الـريئس جونسـون يخشى رد فعل النـاخبين اليهـود . . . » ويضيف الأميـرال : «وكـان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى » .

وفي أعقاب اقتراح السناتور بـوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن ، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قـرار يطالب رابين بالعدول عن قـرار مصـادرة الأراضي في القـدس الشـرقيـة ، استخـدمت الـولايـات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمسـاندة إسرائيل . . . وقد أقلق هذا التصرف اللـوبى الذي رأى أن في ذلك عزل للولايـات المتحدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النـزاع العربى ـ الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥) .

وفي خلال الاجتماع السنوى للإيبـاك ، شدَّد الرئيس كلينتون ، الذي

دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل :

« لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها : فالقوة العسكرية لإسرائيل الآن هى الأقوى عنها في أى وقت مضى . . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا . وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل . وقد أبرم البنتاجون عقودًا بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية . . »

[المصدر : ميدل إيست انترناشيونال ، ٢٦ / ٥ / ١٩٩٥] .

وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة ، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتزاز الأخلاقى مرورا بمقاطعة وسائل الإعلام والناشرين ، والتهديد بالقتل .

وفي ذلك يقول فندلى : « إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل ، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى . والرئيس نفسه يخاف منه . والكونجرس يخضع لكل مطالبه . وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها ، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه » .

٢ ـ اللوبى في فرنسا :

« يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة.

وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبًا شديدًا، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أى مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية ، مهما كان انتماؤه الحزبى ، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك ، مرورًا بميتران ، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية .

ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبى ، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية « ليكرا » ، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢٪ من الشعب الفرنسى ، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الإعلام والتليفزيون والإذاعة ، والصحافة المكتوبة ، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية ، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها ـ وحتي دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فـرض الفيتـو)، فقــد أصبح كل ذلك في أيـديهم، وكــذلك قطـاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام.

ويمكننى أن أطـرح في هـذا الصـدد شهــادتى الخـاصـة: فحتى ١٩٨٢، كـانت أبـواب دور النشـر الكبرى مفتـوحـة على مصـراعيهـا أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى.

وعندما وقع الاعتداء على لبنـان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحريـر السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جـريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيـو ، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنـا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنـا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلـى للصهيونية السياسية التى تقـوم عليها دولة إسرائيل.

وتلقيت سواء بخطـابات مغفلة من الإمضاءات أو بـالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل.

ورفعت علينـا « ليكرا » قضيـة بتهمة « العداء للسـامية والتحـريض على التمييز العنصرى ».

وقام دفاعنـا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرنـاه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل

بدولة إسرائيل . وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم . وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .

وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول «فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية » : إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية) ، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية .

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية ، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى في ذلك الوقت .

كما عادت بى الذاكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش، مؤسس « ليكا » (التى أصبحت « ليكرا ») والذى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول « أنبياء إسرائيل» .

لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعـانى، فـالدفـاع عن الـوطن أصبح إرهـابـا، أما إذا غـزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل » ! .

وقد سبق للجنرال ديجول في عـام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للـوبى الصهيـونـى في جميع أجهـزة الإعـلام: من الصحـافـة إلى التليفزيون، ومن السينما إلى صناعـة النشر. وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفـرط في إجراء عكس تـام للمعـانى، وأطلق عبارة « إرهـاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء، « والمعركـة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء.

وقد ارتكبنا، الأب لولون والقس مايتـو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلـط للمعانى. ولكن المحكمـة برأتنا فـي ٢٤ مارس ١٩٨٣، ورفضت القضية وحكمت على « ليكرا » بالمصاريف، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة مـا والأيديولوجية التى تستلهمها، ولا يتعلق بـالتحريض العنصـرى. . ولكن « ليكـرا » تمادت في غيهـا واستأنفت الحكم، ولكن المحكمـة العليـا في بـاريس أيـدت الحكم السابق وألزمت « ليكرا » بالمصاريف. وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف.

واسترت عملية الخنق خارج المحـاكم. فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل. وبدأت التحركات لكتم أنفاسى في وسائل الإعلام. فلم تقبل

مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليّ بالإعدام الأدبى!

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو» على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١، جاء فيها: يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر. . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ.

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة.

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذى عرض خدماتـه على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الـدولى وقـرارات الأمم المتحـدة) : إن كل يهـودى فـرنسى هـو ممثل لإسرائيل ، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه . . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج ، لم تدر في خاطرى . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠].

●●●

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها . وثمة سوابق تـاريخية ينبغى أن نستقى منهـا العبـر والدروس ، فهنـاك جهود دؤوبـة ومنظمـة تبذل لتشكيل الـرأى العام وصبـه في قوالب ، بعـد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية .

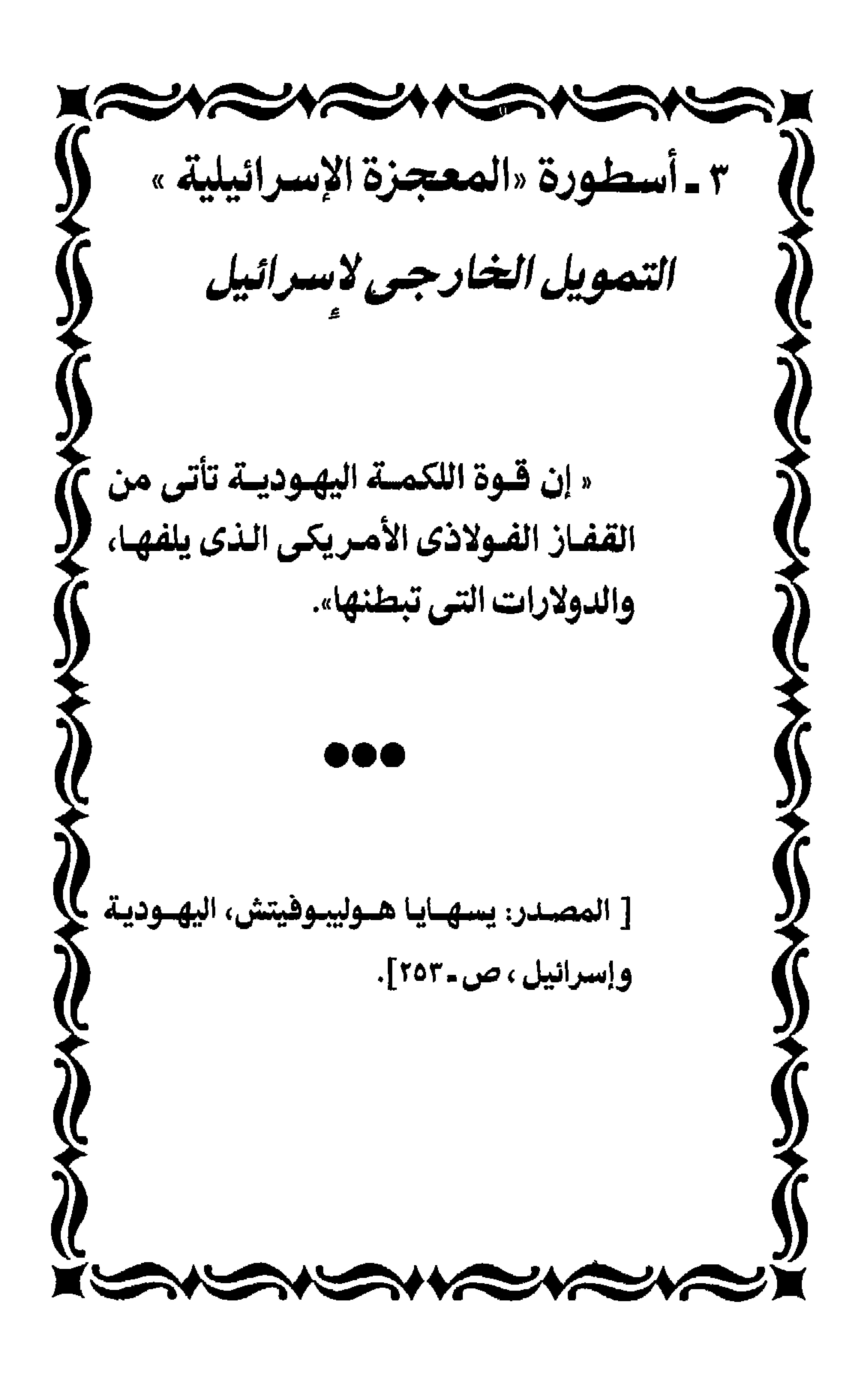
« في بـرلين ، أصبح المسـرح والصحـافـة . . إلخ شأنًـا يهـوديـا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حـادث كربنترا الذى وقع في مايـو ١٩٩٠ داخل مقابـر اليهود في مدينـة كربنتـرا ، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حُرمتها ، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى .

ولا تزال الحقيقة حول كـربنترا لم تتضح بعد ، وفرض الصمت على

أكثر الشهود أهمية . وكانت هذه فرصة لشن هجوم آخر على كل من تسول له نفسه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فوق كل قانون دولى .

●●●



٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية »

التمويل الخارجي لإسرائيل

« إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها».

●●●

[المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل ، ص ـ ٢٥٣].

وفيما يتعلق بـالمبالغ التى دفعتها ألمـانيا لدولـة إسرائيل، سأعطى الكلمـة لمن كـان المفاوض الرئيـسى لقيمـة التعـويضات، السـيد ناحـوم جـولدمـان الذى أورد تفـاصيل ذلك في « سيـرته الذاتيـة» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبـريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهـمات التـى قمــت بها، بناء على طلبـه، وقبـل ذلك بسنتين، لـدى جمال عبد الناصر، بعد حرب الأيام الستة.

« في أوائل عـام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبـة ولأول مرة بتـوجيه مـذكـرتين إلى الحلفـاء الأربعـة بخصـوص المطـالبـات اليهـوديـة. بـالتعويضـات من ألمانيـا الجديـدة والتى بلغت مليار ونصف مليـار دولار، نصفها من ألمـانيا الغربية والنصـف الآخر من ألمانيا الشـرقية. وقام هذا المبلغ على الأساس الأتى :

« استقبلت إسرائيل خمسمـائة ألف يهودى تقريبًـا، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحـو ثـلاثـــة آلاف دولار. ونظـرا لأن إسـرائيل هى التى أنقذت هـؤلاء الضحايـا من براثن النازيـة، وتكبدت شخصيًّـا تكاليـف مـالية بـاهظة ، فقـد رأت أنها فـي حِلّ من فرض هـذه الطلبات بـاسم الشعب اليهودى، رغم أن هـذا لا يقوم على أى أساس قـانونى، وذلك لأن الدولـة اليهودية لم يكن لهـا وجود عند قيام النظـام النازى» (ص - ٢٦٢).

« وفى ظل هذه الظروف ، توجه إليَّ الوزير الإسرائيلى للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفى رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب منى الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطانى وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية وإيجاد السبل لإقرارها . (ص ـ ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألمانى الذى تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أى بنسبة تقل ٢٥٪ عما طلبناه) » (ص ـ ٢٧٢) .

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالى : ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص ـ ٢٨٢) .

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألمانى بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت ، إسرائيل ، وأنا عن مؤتمر المطالبات » .

« . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديـدية ، والتليفونات ومنشـآت الموانى ، ونظم الرى ، وفروع بأكملهـا من الصناعـة والزراعـة ، ما كانت ستصبح علـى ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألـمـانية . وأخيرا ، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبـالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بمـوجب قانون التعويضات . (ص ـ ٢٨٦) .

« وفى صبيحة يوم وصولى إلى تـل أبيب ، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسـرائيلى بن جـوريـون ، الـذى استقبلنى وقـد ارتسمت على وجهـه عـلامات الجـدية : « لقـد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجـزتين : إنشـاء دولـة إسرائيـل ، والتوقيع علـى الاتفاق مع ألمـانيـا . وكنت أنـا المسئـول عن المعجـزة الأولى ، وأنت عن المعجـزة الثانيـة » . (ص ـ ٢٨٤) .

[المصدر: ناحوم جولدمان ، السيرة الذاتية ، باريس ، ١٩٦٩] .

وفي كتـاب آخر من كتبـه ، التنـاقض اليهـودى ، لا يحكى ناحـوم جـولدمـان مفاوضـاته مع ألمـانيا فحسب ، بل والكيفيـة التى ابتز بهـا تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب . فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعـوا تعويضـات لليهود » » ويـرد عليه المستشـار: ـ ولكننـا كنا أنفسنا ضحايا الألمـان ! » واستطرد جولدمان قائلاً : « فـي هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا ، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الـذى يصـور دخـول القـوات الألمانيـة وهتلـر فيينـا في مـارس ١٩٣٨ » .

وعنـدئذ قـال راب : « موافـق ستأخذون أمـوالكـم ! » وكـانـت هـذه الأمـوال في حـدود ٣٠ مليـون دولار. وفي وقت لاحق عـاد جولـدمـان وقال : « يجب دفع ٣٠ مليون أخرى ! » فقال راب : لقد اتفقنا على ٣٠ مليـون فقط ». فـرد عليه جـولـدمـان : الآن يجب أن تقدمـوا أكثـرا» وحصل عليها. ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ.

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النـووى)، مما سـاعد على استحـداث أسطورة داود الصغيـر الذى نجح في أن يقضـى على عدوه العمـلاق جـالوت بنبلـة صغيرة وهى كناية عن دولة إسـرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العـرب مجتمعين. فبالإضـافـة إلى « التعـويضات »، تتمتع إسـرائيل بإمدادات لا حـدَّ لها تقريبا من الأسلحة والأمـوال التى تأتى أساسا من الـولايـات المتحدة حيث لعب اللـوبى دورا فعـالا في ذلك، وكـذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات ».

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديـرات اليهود (كـذا) الذي عقـد في القــدس عام ١٩٦٧، أن دولة إسرائيل قـد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦، ٧ مليارات دولار.

[المصدر : « الايكونوميست الإسرائيلى »، سبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط،

مليار دولار إلى إسرائيل . (وكانت هذه المساهمات تعتبر « مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح ، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت « معونتها » إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا)، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

ويكفى أن نذكر هنا أن معونة « مشروع مارشال » المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ ، قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه . مائتى مليون أوروبى .

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٣,٦٤ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ١,٧ نسمة، على ٤٠٠ مليون .

وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت

عليهـا إسرائيل في ثمـانيـة عشر عـامـا ، كمنح ، تمثل مـا يزيـد على مجموع الدخل القـومى السنوى للعمل في كل البلاد العـربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) ، الذي بلغ في ١٩٦٥ ، ستة مليارات .

وإذا أخذنـا في الاعتبار المسـاهمة الأمريكيـة وحدهـا ، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى ، و ٣٦ دولارا لكل عربى ! .

[المصدر: جورج قرم ، « مالية إسرائيل » ، ١٩٦٨] .

وهنـاك مصـدر مالـى آخر مكـون من سنـدات دولـة إسـرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج ، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية .

وهذه السنـدات التى بيعت منها نسبـة ٩٩,٨٪ في ١٩٥١ ، داخل أمريكا ثم ٨٠٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات .

[المصدر: « سندات دولـة إسرائيل » ، ١٩٧٢ ، ص-٢٠٥ ؛ ١٩٨٠ ، ص-١٥٣].

وبين المنح والسنـدات تلقت دولة إسـرائيل من عـام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢ ، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات .

ومما يدل على تـواطؤ الحكم مع عـالم المال ، حـدث في فرنسـا وحدها عام ١٩٨٢ ، ما يلى :

« تولى جي دى روتشيلد رئاسة الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد؟ وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسى في مجلس إدارة الوكالة اليهودية .

وكان آلان دى روتشيلد رئيسا للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزى .

وعين إيلى دى روتشيلد رئيسا للجنة التنفيدية .

وكان إدموند دى روتشيلد رئيسًا للمنظمة الأوروبية لسندات إسرائيل .

وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية لـ « عالية الشباب » .

ولكن كان الارتهان بالحكومة الأمريكية أكبر بكثير وخاصة منذ السبعينات .

فقد كانت معونة الحكومة الأمريكية منذ ١٩٤٨ ، المقدمة إلى إسرائيل قد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتها قد يصيب المرء بالدوار: وهى بوجه عام أقل من ١٠٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٥ ، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١ . وفى يناير ١٩٨٥ ، ، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات .

أما بالنسبة للدين الخارجى ، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٦ ، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١ ، أى إلى رقم قياسى قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة ! .

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران. كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية ، وبذلك دخلت نسبة ٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب .

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد ، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى ، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر ، وفي معظم البلدان الأفريقية .

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش ، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا : « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسببين اثنين هما :

١ ــ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها ، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

« إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا ، ولكنها جيش يملك دولة » .

٢ ـ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة .

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفـاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمـريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسـرائيلى) . وإن قوة اللكمـة اليهوديـة تأتى من القفاز الفـولاذى الأمريكى الذى يلفهـا ، والدولارات *التى تبطنها* » .

●●●

خاتمة

أ ـ الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير ـ وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا ـ أصولها وتنظيمها الاجتماعى، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبَّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة فى مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن « رامايانة » الهند هى أروع صورةٍ للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها « راما » وزوجته « سيتا »، وإحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما »

من اسم الإلـه « رام ». وقـوة هذه الأسطـورة التى تفـوق مجرد السـرد، وصلت إلى حـدٍّ جعلها مصـدرا استوحتـه الشعوب في حيـاتها لقـرون عـديدة، وذلك بتعظيمهـا لصورة الإنسـان وآفاق حيـاته. وقـد وضع « فالميكى » بعد ذلك النص الذى يجمع كتـابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعـاد الشـاعـر « تـولسيداس » فـي القرن الخـامس عشـر ، كتـابـة الـرامايـانة، وفقـا لرؤيـة صـرفية أعمق، وفى قصيـدة لـم تستكمل عن الارتقـاء الإنسـانى. وإلى هـذا فإن آخـر كلمـة لفظ بها غـانـدى عنـد اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى « رام ».

ويصدق نفس الشـىء على المهابارا هـاتا، التى بلغت ذروتهـا في «بهـاجـا فادجيتـا »، حيث يطـرح الأميـر أرجـونـا، وفي غمرة معـركـة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفى حضـارة أخـرى ، أى من مفهـوم آخر لعـلاقـات الإنسـان مع الطبيعة ومع غيره من النـاس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثـوراتهـا الشفهيـة والشعبيـة إلى المـؤلف الـذى أعطـاهـا شكلهـا المكتوب، هوميروس، تعـرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا ، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيـل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهنـاك الملاحم الأفـريقية الكبـرى « كسيـدارا» ، وكذلك ملحمـة

خروج قبائل الأزتيك، أو « جوته » الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه، أو وستيوفيسكى الذى كتب في قصته « المغفل » رواية جديدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحديثة، وهى شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت، الفارس النبى، الذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على « أسطورة العصور » التى تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعها تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشرية، أى تاريخ عظمة الإنسان، الذى يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة، كيما يتفوق على عاداته وقدراته.

وهذا التاريخ هو التاريخ الذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش. وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء، وربطها بعجلة انتصاراته.

●●●

ب ـ الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسى :

إن قراءة هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» ينبغى ألا تثير لبسا أو غموضا ، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية .

فنقد التفسير الصهيونى للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل ، وسفر الملوك) ، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية . فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها . كما أن «الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية ، وعلى نداء الرب الذى لا يقاوم نحو الحرية .

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص ، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان ، ومع كل الناس ، ووجوده في داخلنا جميعا ، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة « الشعب المختار » الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن ثَم صينم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم .

ولم يدر بخلدنا أبدا وبما عرضناه في هذا الكتاب الذى وثَّقت كل حلقة من حلقاته بمصادرها، فكرة تدمير دولة إسرائيل، بل أردنا وببساطة أن نبطل عنها صفة القداسة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بدلا مغتصبة، كأرض فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن.

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ وإلى ما لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلِّد علاقات الغاب.

وفي الحالة الخاصة بالشرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخذتها الأمم المتحدة غداة الحرب الأخيرة والقرار ٢٤٢، وهى القرارات التى تستنكر وتمنع التوغل داخل حدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولا شك أن الاستمرار فى إقامة المستوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو احتلال يجعل من المستحيل إحلال سلام حقيقى وتعايش سلمى ودائم للشعبين المتساويين والمستقلين، وهو السلام الذى يرمز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث.

●●●

وكذلك فإن نقد أسطورة الهولوكوست ليست بالعملية الحسابية الجنائزية لعدد الضحايا، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لم

يكن لهـا وجود عنـدما اقترفـت الجرائم ، والمبالغـة في الأرقـام بصورة تعسفيـة لمحاولـة إثبات أن معـانـاة البعض لا وجه لتشبيههـا بمعانـاة الآخـريـن وإضفـاء القـداسـة عليهـا (وبـالعبـارة الـدينيـة نفسهـا الهولوكوست) ، وهى محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة .

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة ، الذين أظهروا أنفسهم بمثـابة الضحـايا دون سـواهـم ، وأنشأوا على إثـر ذلك دولة إسـرائيل ، ووضعوها فوق كل قانون دولى .

ولا يتعلق الأمر كذلك بـالتشكيك في النوايا الطيبة لمـلايين الشرفاء الذين اعتقـدوا في هذه الأسـاطير الكـاذبة التى روَّجت لهـا كل وسائل الإعلام .

ولذا فإن هذا الكتـاب يهدف إلى إتاحة العنـاصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أو شـرط ، الولايـات المتحـدة ، والتى تـولد عنهـا حتى الآن (خمسـة) حروب ، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا ، ومن ثم على الرأي العام العالمى ، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالـم وسلامه .

●●●

جـ. المزيّفون والتاريخ الانتقادى :

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزوير التى ترمى إلى الحطِّ من قدر أية ديانة أو طائفة، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها . وخير مثال على هذا التزييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذى نددت به في كتابى : « فلسطين، أرض الرسالات الإلهية »، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع « ولا سيما في بعض البلدان العربية، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط. ولذلك ورغم الإثقال على القارئ الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان، فإننا لم نقدم أى أُطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.

●●●

والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا . وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة. فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل. وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين.

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج، كانت هشة جدا.

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها.

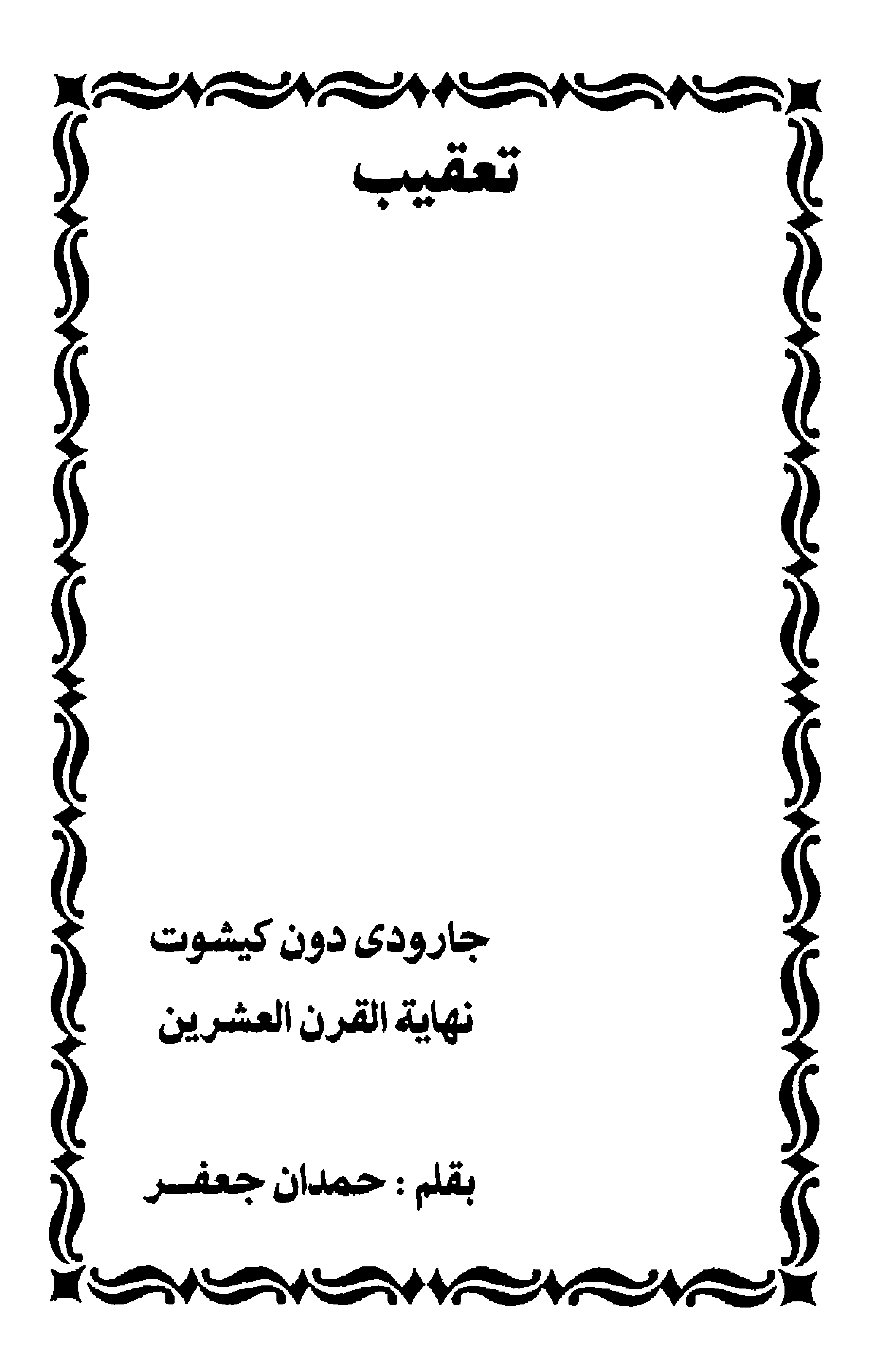
فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة. وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية.

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت، و٩ ملايين من الألمان، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدَّس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست)، مع إنكار إضفائه على الآخرين.

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها.

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

●●●



تعقيب

جارودي دون كيشوت

نهاية القرن العشرين

بقلم : حمدان جعفـر

يذكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان: أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك فى كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟ .

يعرّف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩٠ وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم .

لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته. وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين .

والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكـه فى أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونيـة أن تدعـو لإنشاء دولـة إسرائيل وتحـل الأسطورة السيـاسية العرْقيـة محل الأسطورة الدينية . وهـو يرسم مقارنـة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحـرب العالـمية الثانية وبين الإبـادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبـر عملية إبـادة جماعية فقـد نسى هؤلاء أن هنـاك ستين مليون هندى أمريكى تعـرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليون مـن السود الأفارقة تعـرضـوا للقتل من جـرَّاء تجـارة الـرق ، كمـا أن هنـاك ١٧ مليـون من السلاف قتلـوا فى الحرب العالمية الثـانية . وأوضـح جارودى هـدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هـو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفـة خاصة أن معسكـرات الاعتقال النـازيـة كـانت تضم بجـانب اليهود البـولنـديين والسوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية .

ويقول جارودى : إنه لا توجد وثـائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا .

والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلَّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمـه؟ ويرد جارودى بقوله : «**إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية**» .

ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلا قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال: **«لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة»** ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل .

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى : **إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .**

ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرّضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيوينة الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

هذا هو جارودى : إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم : إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد .

فهل الحملة على جارودى بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى.

وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته :

(النظرية المادية للمعرفة) ؛ (فكر هيجل) ؛ (أزمة فى الشيوعية : نقطة تحول الاشتراكية) ؛ (منظورات الإنسان) ؛ (ماركسية القرن العشرين) ؛ (حوار الحضارات) ؛ (واقعية بلا ضفاف) ؛ (حفارو القبور) ؛ (الأصوليات) ؛ (مشروع الأمل) ؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر) .

تنبيــه ...

تحـاشيا لـلإثقال علـى القارئ العـربى الكريـم ، فقد تـوخينا عنـد التـرجمـة إيجاز بعض التفـاصيل التى اقتطفهـا المـؤلف من الصحف الأجنبية ، وهى تفـاصيل تهم القارئ الغـربي في المقام الأول ، ولا تخل بسياق الكلام .

قسم الترجمــة

دار الغــد العربى

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٦ / ٥٩٥٧

الترقيم الدولى

I.S.B.N.

977 - 5066 - 32 - 8

● أسعار بيع النسخة خارج مصر ●

لبنـــان ٢٠٠٠ ل. ل ■ الكـويت دينار كـويتى ■ الأردن دينار ■ ليبيا دينـار ■ الإمارات ١٠ دراهم ■ قطـر ١٠ ريالات ■ اليمن ٣٠ ريالا ■ عمان ٨٠٠ بيسه ■ تونس ١٥٠٠ مليـم ■ سوريا ٦٠ ل . س ■ السعودية ١٠ ريالات ■ السودان ٥٠ جنيهـا ■ البحـرين ٩٠٠ فلس ■ المغـرب ١٥ درهمـا ■ قبـرص ٨٠٠ مليم ■ الجزائر ١٠ دنانير ■ أوربا والأمريكتان ما يعادل ٤ دولارات أمريكية.

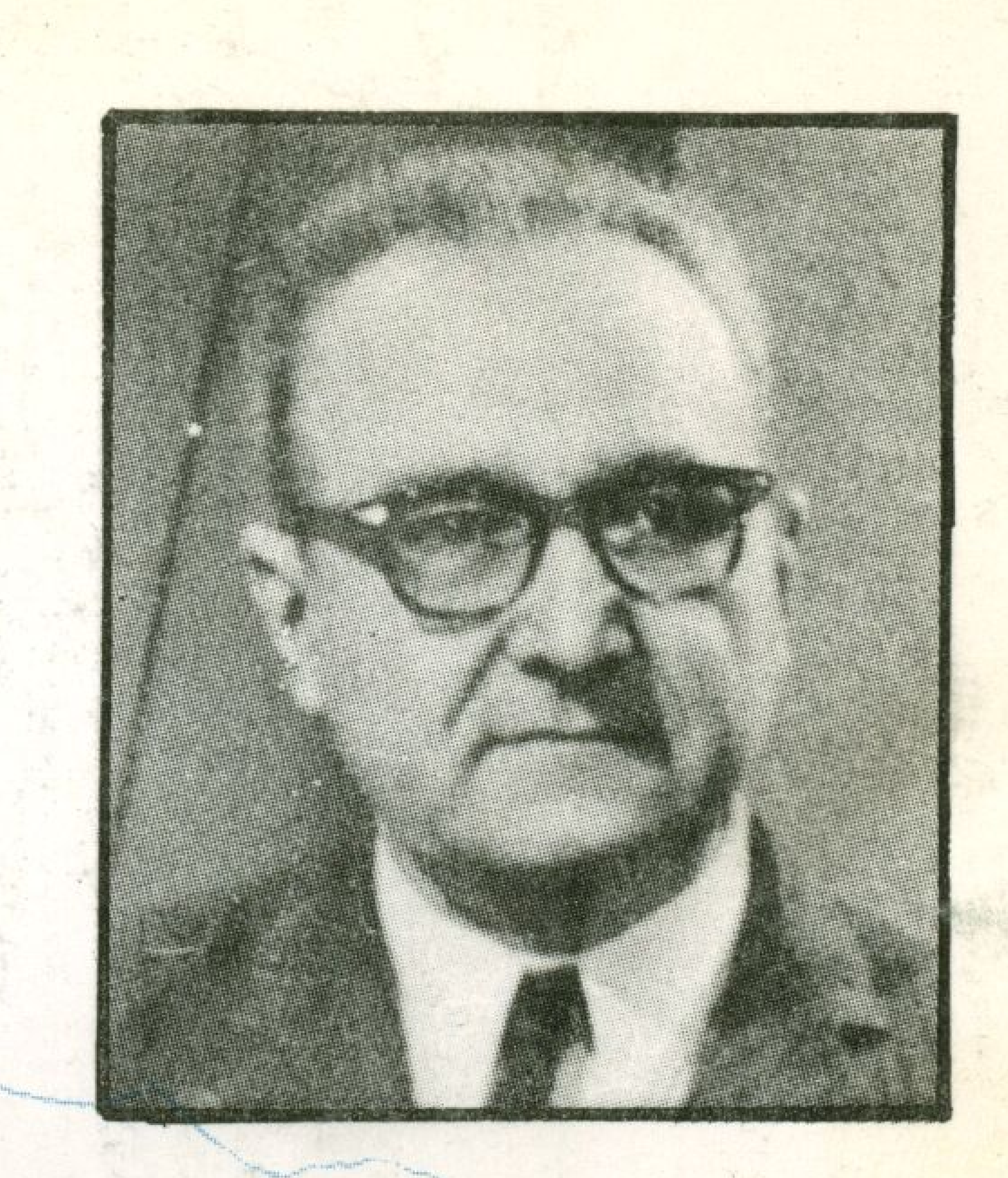
طبع بمطـابع



دار الغـــد العربى

٣ ش ـ دانش ـ العباسية

ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٩٧٢٨٧٠ ـ القاهرة



جارودى... وديموقراطية الغرب

في الوقت الذى تنفق فيه بـريطانيا ملايين الجنيهات الإسترلينية لحراسة « سلمان رشدى » صاحب كتاب آيات شيطانية والـذى أفتى الخومينى بإباحة دمـه لتهجمه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام !!

وفى الوقت نفسـه وبدون أية مناسبـة خصصت مجلة الإكسبريس الفرنسيـة في عـدد ١٦ مـايـو ١٩٩٦ ست صفحـات لتحقيق نشر فيـه أن السيد المسيح . ليس لـه معجـزات ولم يـولـد في العـام الميـلادى الأول ، وأنـه فقط كان فـلاحًا ثـوريا ضد السلطـة الرومـانية !! .

يحدث هذا في الوقت الذى لم يجد فيه الفيلسوف الكبير رجاء جارودى أى ناشر فرنسى ينشر له كتابه هـذا ، فينشره على نفقتـه الخاصـة . وفور صـدور الكتاب قـامت الدنيـا ولم تقعد على جـارودى لأنه قـال الحقيقة ، حقيقة أن كل ما تدعيه الصهيونية العالمية هـو زيف وبهتان ، وما هو إلا أساطير خرافية ما أنزل الله بها مـن سلطان ، ووقف جارودى ـ الفيلسوف . . والمفكـر . والعالم أمـام هذه العـاصفة الهـوجاء كـالطود الشامخ تتكسر عليه الزوابع والعواصف لا تأخذ منه مأخذًا .

وفي باريس . . عاصمة العلم والنـور والحرية !! كما يزعمون ينتظر جـارودى الحكم بالسجن لمدة عام لأنه مس قـدس الأقداس وكشف عن زيف دعـوى الصهاينة . . ومثل سقـراط ، فإن جارودى يواجـه مصيره برباطة جأش نادرة . . ذلك أنه يكفيه أنه قال الحقيقة . . وليكن ما يكون .

ونحن إذ نقدم ترجمة أمينـة لهذا الكتاب إلى قراء العربية ، فإننا نشعر أن هـذا وا... نا العظيم وأمتنـا العربيـة الخـالدة . . ليعـرف القارىء حقيقـة الأسـاطير الخـرافية التـ... ة الإسرائيلية .

إنه كتاب كل عربى يعيش من المحيط إلى الخليج . . يعرى حقيقة الدولة الصهـ... ة ويجعلنا نعيد التفكير مرة أخرى . . . هل عملية التطبيع مع الصهيونية . . . تؤدى في ... أم أنها إحدى خدع اليهود الماكرة ؟ !!

« **حمدان جعفر** »



الثمن ٤ جـ